ندوة الابداع والطفل

٨ - ١٠ يناير ١٩٩٤

مراد وهبه   منى أبو سنه

معهد جوته بالقاهرة

١٩٩٥



الفهرس

مقــــدمة

هذه الندوة هى الخامسة فى سلسلة الندوات المخصصة للابداع . انعقدت الندوة الأولى فى ابريل ١٩٨٨ عن "الابداع والتعليم العام" برعاية وزير التعليم السابق الأستاذ الدكتور فتحى سرور وبمشاركة من أساتذة كليات التربية . والندوة الثانية فى مارس ١٩٩١ عن "الابداع فى الفصل المدرسى" برعاية وزير التعليم الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وبمشاركة أساتذة كلية التربية ومستشارى وزارة التعليم وبتدعيم من معهد جوته . والندوة الثالثة فى أكتوبر ١٩٩١ عن "الابداع فى المدرسة" بمشاركة أساتذة كلية التربية وبتدعيم من معهد جوته . والندوة الرابعة فى ١٩٩٣ عن "قيادات مبدعة فى عالم متغير" باشتراك نخبة من المفكرين المصريين والألمان وبتدعيم من معهد جوته .

وها هى الندوة الخامسة وعنوانها **"الابداع والطفل"** بمشاركة من مفكرين ألمان ومصريين ونخبة من المسئولين عن وسائل الاعلام وبتدعيم من معهد جوته . والغاية منها كيفية تصميم برامج تحث الأطفال على القراءة ، وتبين لهم أنه لا يوجد تعارض بين القراءة والتلفزيون . وهنا يمكن الإستعانة بالخبرة الأجنبية من غير محاكاة لأن المحاكاة قاتلة للابداع .

ويشترط من أجل تطوير برامج الأطفال لتحقيق هذه الغاية المنشودة أن يكون "مُعد" البرنامج على وعى بأن الطفل ليس دمية قابلة لأن تتشكل على نحو ما نريد ولكنه كائن حى لديه وعى بعلاقته مع العالم الخارجى . وهذا الوعى لا ينمو إلا بـ "الدهشة" . فالدهشة هى أساس التفكير الناقد ، والتفكير الناقد يتضمن التفكير الابداعى . كما يشترط أن يكون "مُعد" البرنامج على وعى بضرورة تطوير لغة الطفل لأن فى تطويرها تطويراً لوعيه . كل ذلك من أجل تفجير طاقات الطفل الابداعية .

مراد وهبه

فلسفة الطفولة

مراد وهبه

إن تحديد سيكلوجيا الطفولة مهمة شاقة . فقد أمضى جان بياجيه ما يقرب من أربعين عاماً فى دراسة "فكر الطفل الصغير" وهو عنوان الفصل الثانى من كتابه "ستة أبحاث سيكلوجية" . ومع ذلك يقر بأنه لم يكن فى امكانه تغطية هذا المجال برمته . وأنا أعتقد أن سبب ذلك مردود إلى أن الطفولة لم تدرس دراسة سيكلوجية منظمة إلا ابتداء من النصف الثانى من القرن الثامن عشر من أجل تأسيس نظم جديدة للتربية تحترم خصائص الطفولة. ثم توقفت هذه الحركة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر حتى استؤنفت بدراسات تين فى فرنسا عام ١٨٧٦ ، وداروين فى انجلترا عام ١٨٧٧ . غير أن الدراسات التى تناولت سيكلوجيا الطفولة من جميع نواحيها لم تتسع دائرتها إلا فى القرن العشرين . وعندئذ تأسس علم نفس الطفل ، ومن أبرز مؤسسيه جان بياجيه وهنرى فالون . فكل منهما له عدة مؤلفات عن الطفل ، وكل منهما يقف ضد الآخر . فقد ناقش فالون آراء بياجيه عن الطفل فى كتابه "تكوين الرمز عند الطفل" عام ١٩٤٥ . وفى يونيو ١٩٤٦ نشرت مجلة علم النفس لمؤسسها يوسف مراد مقالاً لهنرى فالون كتبه خصيصاً

للمجلة بعنوان "أثر الآخر فى تكوين الشعور بالذات".
وفى هذا المقال يحدد فالون افتراقه عن بياجيه فى مسألة الطفولة حيث يوجزه فى أن أبحاث بياجيه أشاعت الرأى التقليدى القائل بأن الشعور بالذات أمر فردى فى جوهره . فالطفل يبدأ حياته وهو فى حالة انطواء ذاتى تام "autisme"(.) وبعد هذه المرحلة يمر الطفل بمرحلة التركيز حول الذات "egocentrisme"(..) قبل أن يتمكن من تصور الآخرين فى موقف شركاء تقوم بينه وبينهم علاقات من التبادل . إذ أنهم يشاركونه الوجود ، ويسوغ لهم أن ينظروا إليه كما ينظر إليهم وإن اختلفت وجهة النظر . وهذا الانتقال الذى يتم فى الشعور حول سن السابعة ، من حالة الاعتقاد بأن الشخص هو وحده موجود إلى الإعتقاد بتعدد الأشخاص ، هو ما ينظم بطريقة أساسية تطور الطفل من الناحية العقلية .

وعلى الضد من هذا الرأى الشائع الذى يروج له بياجيه يذهب فالون فيرى أن المولود الحديث ليس

(.) يستخدم بياجيه هذا المصطلح الذى وضعه بلولر Bleuler العالم السويسرى فى الأمراض العقلية لوصف حالة المرضى بانفصام يشير إلى حالة الانطواء الذاتى التام الذى يكون عليه المولود الحديث .

(..) تقدير الأمور من وجهة نظر الذات وحدها وهو اتجاه قريب من الانطواء .

نظاماً مغلقاً . فحركاته وأسارير وجهه ونبرات صوته هى تعبيرات مزدوجة التأثير . تأثير صادر عندما يعبر الطفل عن رغباته ، وتأثير وارد هو ما تثيره هذه التعبيرات من استجابة الآخرين . وتظل هذه التأثيرات المتبادلة فى حالة اختلاط بحيث ينعدم التمييز بين الذات والآخر .

بيد أن هذه المرحلة ، مرحلة التأثير المتبادل ، تسمح للذات ، فى نهاية المطاف ، أن تتخذ موقفها الخاص بصدد الآخر . وفى أغلب الأحيان تتخذ هذه المرحلة الجديدة شكل الأزمة الحقيقية ، أزمة الشخصية التى تظهر فى حوالى سن الثالثة ، وفيها يثبت الطفل ذاته بمقاومة غيره ، وبالتمييز بين ما يملكه وما يملكه غيره إلى الحد الذى يصل فيه هذا التمايز إلى التناقض بل إلى المقاتلة فيعتقد الطفل أنه كل مغلق ، ويصبح الآخر غريباً ، ولكنه مع ذلك شريك فى نفس الوقت لأنه هو الطرف الاجتماعى الذى امتصته الذات .

نخلص مما سبق إلى أن الخلاف بين **بياجيه** و **فالون** يدور على العلاقة بين الذات والآخر فى مرحلة الطفولة . فالآخر عند **بياجيه** يظهر متأخراً فى حين أنه عند **فالون** فى صميم الذات منذ البداية.

وفى تقديرى أن هذا الخلاف يتجاوز سيكلوجيا الطفولة إلى فلسفة الطفولة ، لأنه اذا كان الآخر رمزاً

على المجتمع ، واذا كان المجتمع من نتاج العلاقة بين الانسان والبيئة فالسؤال اذن : ما هى طبيعة هذه العلاقة بين الانسان والبيئة ؟

جواب هذا السؤال يستلزم البحث فى نشأة الحضارة . والحضارة تتحدد نشأتها بعصر الزراعة وليس بعصر الصيد . فالانسان فى عصر الصيد كان على علاقة أفقية مع البيئة ، أى أنه كان متكيفاً معها ، إذ كان يصطاد الحيوانات ويذبحها ويأكلها . ولم يكن متمرساً على استئناسها فندرت الحيوانات . و مع تغير المناخ هاجرت هذه الندرة فحدثت "أزمة طعام" فى عصر الصيد لم يجد لها الانسان مخرجاً سوى تغيير علاقته مع البيئة فبدلاً من أن تكون أفقية أصبحت رأسية ، أى بدلاً من أن يكون متكيفاً مع البيئة أصبح هو الذى يكيف البيئة طبقاً له ، فابتدع "التكنيك الزراعى" الذى من شأنه تغيير البيئة . ومعنى ذلك أن الابداع هو أساس نشأة الحضارة الانسانية . وقد أدى هذا التكنيك إلى بزوغ ظاهرة "فائض الطعام" الأمر الذى استلزم ابتداع نظام يسمح بالتحكم فى الفائض وتوزيعه على البشر فنشأ المجتمع . ونشأت معه الملكية والتمايز بين مَنْ يملك ومَنْ لا يملك .

ومن هنا كان لدينا تعريفان للانسان : تعريف للانسان بأنه حيوان مبدع ، وتعريف للانسان بأنه

حيوان اجتماعى . وهو حيوان مبدع قبل أن يكون حيواناً اجتماعياً . فاذا ركزنا على الانسان من حيث هو حيوان اجتماعى ثارت قضية العلاقة بين الذات والآخر . واذا ركزنا على الانسان من حيث هو حيوان مبدع ثارت أمامنا قضية كيفية تفجير طاقاته الابداعية .

ولكن ما هو الابداع ؟

هو قدرة العقل على تكوين علاقات جديدة بحيث يحدث تغييراً فى الواقع . وهنا تحضرنى تجربة **حبيب جورجى** . فقد جمع هذا الفنان عدداً من الأطفال ، وهيأ لهم وسائل التعبير التلقائى بمنأى عن أى نوع من أنواع التدريب التقليدى إلا ما يستوحونه من خيالهم متروكين لكى يستنبطوا التعبير الذاتى المبدع من أنفسهم . وهؤلاء الأطفال يعيشون جميعاً فى عالم كل ما فيه يدفع للابداع . وقد صبغت مبادىء هذا الفنان طابع أنظمة التربية الفنية فى مصر فسُخّرت طريقة التدريس لابراز عملية الابداع عند الأطفال . وهنا حذّر **حبيب جورجى** من شحن رؤوس الأطفال بالمعلومات لأنها ، فى رأيه ، تخنق الابداع . وهذا التحذير يكشف عن التناقض بين الذاكرة المختصة بحفظ المعلومات وترديدها وبين الابداع المختص بتجاوز الحفظ إلى البحث عما هو جديد . وفى عبارة أخرى يمكن القول

بأن ثمة تناقضاً بين "ثقافة الذاكرة" و"ثقافة الابداع". وهذا التناقض كامن فى علاقة كل منهما بالزمان . فثقافة الذاكرة تدور على الحفاظ على الوضع القائم الذى هو ثمرة وضع مضى . ومن هنا يمكن القول بأن "ثقافة الذاكرة" تدور على رؤية ماضوية . أما "ثقافة الابداع" فتتجاوز الوضع القائم status quo إلى وضع قادم pro quo ومن ثم فهى تدور على رؤية مستقبلية .

خنق الابداع اذن يتم عندما نكتفى بثقافة الذاكرة . وهنا ينبغى التساؤل عن العوامل التى تدفعنا إلى الاكتفاء بهذه الثقافة . وهنا أشير إلى ما أسميه "محرمات ثقافية" وهى محرمات ندفع بها إلى عقل الطفل منذ بداية العملية التربوية والتعليمية . ومما يبرر لزوم المحرمات الثقافية توهمنا أن عقل الطفل سلبى ، وأنه لا يتكون إلا بفضل ما نقدمه من معلومات تقف عند حد المستوى الحسى ولاتتجاوزه إلى المستوى التجريدى بدعوى أن التجريد عملية يصعب على عقل الطفل أن يرقى إليها فى بداية تفكيره . وهذا هو رأى بياجيه . ولازالة هذا الوهم يلزم البحث عن كيفية تعلم الطفل للغة هو يجهلها . فاذا كان عقل الطفل سلبياً وفارغاً من أى محتوى فكيف يفهم الطفل عبارة يجهل معنى مفرداتها . والمعنى ، بحكم طبيعته ، ذو طابع تجريدى . أغلب الظن أن عقل الطفل حاصل على مقولتين وهما مقولة

العلاقة ومقولة التجريد . وبفضل هاتين المقولتين يمكن للطفل أن يتعلم اللغة ، وأن يبدع فى تكوين العبارات ، وفى الحوار مع الآخر ، وفى تغيير الواقع .

التعلم اذن ليس محاكاة ، وإنما هو فى أصله ابداع . ولولا الابداع لما كانت المحاكاة .

مقترحات (وجهات نظر)
لتحديد مضمون كتاب الأطفال الجيد

جبريلا هوفمان (.)

أ- إن فرصة تعلم القراءة تبدأ فى الصغر ، وتبدأ بالقدرة على فهم الصور ومحاولة فهم الكتاب من خلال الصور الموجودة به ، وفهم هذه الصور على أنها لغة قائمة بذاتها بمعنى أن يصبح الطفل قادراً على تحويل المعانى الرمزية التى يراها فى الصورة إلى كلمات محسوسة ومفهومة . وتعلم قراءة الصور تعتبر الخطوة الأولى لتعلم اللغة المكتوبة . لذلك يجب تشجيع الأطفال على فك رموز الكتب المصورة ومحاولة فهمها . ويتم ذلك بالطرق الآتية :

١- تشجيع الأطفال منذ الصغر على حب القراءة بصفة عامة لأن ذلك يعتبر بنية أساسية وضرورية للأطفال .

٢- تعتبر اللغة وسيلة اتصال تعتمد فى تكوينها على المعانى الرمزية . لذلك فان اللغة ليست مجرد لغة كلام بل إنها أكثر من ذلك لأنها وسيلة لتحديد العالم الخاص لكل شخص والتعبير عنه ، كما أنها

(.) أستاذة التربية بجامعة هيدلبرج بألمانيا .

قامت بترجمة هذا البحث عن الألمانية فوزية على السيد حسن - مدرس الأدب والترجمة بأكاديمية الفنون .

وسيلة للتعبير عن الحقيقة المراد التعبير عنها .

٣- يجب فهم العلاقات الرمزية الموجودة بكل لغة . فمن شأن ذلك أن يفضى إلى فهم معانى الصور والقدرة على شرحها والتعبيرعنها وذلك بتوفر شرطين :

أن تعرض لنا هذه الصور الحقيقة كما هى .

وإذا عرضت لنا هذه الحقيقة كما هى ففى امكان الأطفال التعبير عن الحقيقة ذاتها من خلال هذه الصور .

ب- ثمة سبب آخر مهم وضرورى لتشجيع الأطفال على القراءة . هذا السبب يكمن فى المقدرة على فهم الصور والنصوص المكتوبة التى تعتبر أيضاً لغة مقروءة ، وفهم الصور والنصوص المكتوبة على أنها تعرض لنا حقيقة معينة عن طريق إشارات خاصة . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن لغة النصوص المكتوبة تشتمل على نظام يُرمز به إلى أشياء معينة ويستطيع الأطفال التعبير عنها وذلك لاقامة حوار مع العالم الخارجى .

ج- إن قابلية الطفل الصغير على ممارسة عملية القراءة تتوقف على قدرته على فهم الصور والنصوص المكتوبة خاصة إذا كانت معروضة بشكل جيد . وعن طريق القراءة المنظمة والمثمرة يستطيع

الطفل إيجاد علاقة بين عالمه الخاص وخبراته وبين هذه الأعمال المقروءة . فعند قراءة الطفل لمثل هذه الأعمال فإما أنه يتفاعل معها ويجد نفسه فيها ، وإما أنه يجد فيها أشياء جديدة لم يكن يعرفها من قبل . وإما أنه يجد أشياء غريبة وغير مألوفة على الاطلاق . وهذا يتوقف على طريقة عرض الصور والنصوص . فلابد إذن أن تكون معروضة ومكتوبة بشكل جيد ومشوق . وطريقة العرض هذه تنمى قابلية حب القراءة والاستمتاع بالكتاب لدى الطفل وتشعره بالرغبة فى الاستمرار فى القراءة إذ يجد نفسه متشوقاً لمعرفة المزيد عن عوالم جديدة لا يعرف عنها شيئاً إلا عن طريق القراءة . ويلاحظ أن تشجيع الأطفال على القراءة يخلق عندهم صفات ايجابية هى على النحو التالى :

١- القراءة تزيد احساس الطفل باللغة وتكسبه القدرة على التعبير عن نفسه . وهذه ظاهرة ايجابية من شأنها تنمية قدرة الطفل على البحث عن ذاته وما بداخله وخلق احساس بالرغبة فى التعرف على الآخرين الموجودين فى العالم الخارجى المحيط به وكيفية التعامل معهم .

٢- إن قدرة الطفل على احساسه بنفسه وقدرته على التعبير عن ذاته تكسبه المهارة والقدرة على اقامة حوار مع العالم الخارجى فى سهولة ويسر ،

وتنم تصرفاته فى هذه الحالة عن احساس ينبع من الثقة بالنفس .

مثل هذه العملية (الثقة بالنفس والقدرة على التعبير عن نفسه وكذلك إقامة حوارمع الآخرين) تتم كلها بطريقة تلقائية وعفوية لا تنبع من عوامل عقلانية . لذلك يجب أن تكون الصور والنصوص المكتوبة منتقاة بطريقة جيدة ومشوقة . ولا ينبغى أن تكون مبنية على الشرح والتحليل ، ولكن يجب وضعها بطريقة سهلة وواضحة وبسيطة بحيث تستثير مشاعر الأطفال وتدفعهم لاقامة حوار مع الآخرين .

د- عندما يقدم الكتاب صوراً ونصاً مكتوباً بقصد التوجيه والارشاد بطريق غير مباشر وليس بالوعظ والتعليم فإننا نستطيع القول بأنه كتاب جيد للطفل فى شكله ومضمونه ولكن يشترط أن يتم التوجيه على المستويات التالية :

١- طريقة عرض المعلومات التى يستطيع الطفل بها تكوين صورة عن العالم الذى يعيش فيه ربما تساعده على تكوين شخصية سوية ، وتساعده أيضاً على رسم معالم مستقبله .

٢- إن المعلومات المطروحة عليه بشكل موضوعى تنمى عنده القدرة على التعامل مع العالم الخارجى .

٣- إن الاحساس المتزايد بالكلمة المقروءة وحبه للتعرف على أوجه الواقع المتعددة يساعدان على تنمية ملكة النقد لدى الطفل (يقصد هنا : القدرة على طرح الأسئلة والقدرة على التمييز بين الأشياء وكذلك القدرة على اتخاذ القرارات فى الوقت المناسب) .

ه- إن الشغف وحب المعرفة وحدهما يعتبران دافعاً قوياً لتنمية القدرة على حب القراءة وبالتالى التعلم . وطريقة عرض الصور والنصوص المكتوبة المثيرة المشوقة تجعل الطفل شغوفاً ، خاصة إذا كانت تحتوى على النكتة والتهكم . وبذلك تثير كل هذه العوامل خيال الطفل وتخلق منه قارئاً جيداً وتشجعه على ممارسة فن الحوار والجدل مع الآخرين وبذلك تنمو شخصيته بشكل واقعى وجاد .

و- القدرة على تحويل الكتاب المقروء إلى قدرة على التفاعل والمشاركة . وهذه القدرة تتعلق دائماً بالاطار الاجتماعى الذى يقدم فيه الكتاب المقروء .

إن الكتاب الجيد للطفل لا يعزله عن العالم المحيط به ، بل على العكس فإنه يصبح رفيقه الحميم وينمى لديه القدرة على عملية الابداع .

دور الخيال فى تنمية ابداع الأطفال

منى ابو سنه (٠)

الغاية من هذا البحث الجواب عن أسئلة ثلاثة :

١ - مَنْ هو الطفل وما هى الطفولة ؟

٢ - كيف نفهم الطفل وكيف نتعامل معه ؟

٣ - كيف يمكن غرس هذا الفهم فى وسائل الاعلام ؟

مفهوم الخيال ، عند علماء النفس ، يدور على فكرتين متناقضتين . فالانسان ، فى رأيهم ، هو الكائن الوحيد الذى يتميز بالقدرة على الخيال . ومع ذلك فانه ليس فى الامكان دراسة الخيال دراسة تجريبية . فكتاب ولمان Wolman (١٩٨٢) بعنوان "علم نفس النمو" يخلو من مدخل إلى الخيال . وكتاب جريجورى Gregory بعنوان "مرشد اكسفورد إلى العقل" يخلو كذلك من مدخل إلى الخيال . وكل ما هنالك فصل عن "المدرسة المبدعة" فى أمريكا ، وهو أقرب موضوع إلى الخيال .

وغياب البحوث العلمية عن الخيال فى علم النفس مردود إلى سببين : السبب الأول هو أن علم النفس التجريبى قد اهتم بالعمليات الحسية والتعلم . والسبب الثانى أن البحوث الخاصة

(٠) أستاذ ورئيس قسم اللغة الانجليزية بتربية عين شمس ومدير مركز تطوير تدريس اللغة الانجليزية .

بالابداع ، إما يتم اجراؤها فى اطار الذكاء أو فى اطار علم النفس المرضى . ومن هنا كان ارتباط الابداع بالجنون .

ومع ذلك حاول بعض علماء النفس المعاصرين تجاوز هذين السببين . فقد انشغل كوهن ومكيث Kohen & Mackeith فى كتابيهما " نحو الخيال" (١٩٩٢) بتحليل العوالم الخاصة المتخيلة أو "العوالم الجانبية" paracosms على نحو تعبيرهما . وقد تم ذلك من خلال تسجيل أحاديث ستة وأربعين شخصاً عن عوالمهم المتخيلة أثناء طفولتهم . وقد كان هذا التسجيل مصدراً خصباً لفهم مسارات الخيال ودوره فى صناعة مستقبل مبدع . وقد انبثق عن هذا التسجيل خمس أفكار رئيسية . الفكرة الأولى تدور على أن ثمة عوالم تموج بالحيوانات ولعب الأطفال . والثانية خاصة بالبلدان والجزر بما فيها من شعوب . والثالثة خاصة بخيالات عن المدارس . والرابعة خاصة بعوالم تكنولوجية مثل القطارات على اختلاف أنواعها . أما الخامسة والأخيرة فإنها تدور على بضعة عوالم متنوعة .

وبعد تحليل هذه العوالم ، يحدد كوهن ومكيث أربع سمات أساسية للعوالم الجانبية المتخيلة :
أولاً : ينبغى أن يكون الطفل قادراً على التمييز بين ما قد يتخيله وبين الواقع .

ثانياً : أن اهتمام الطفل بالخيال ينبغى أن يستمر لعدة شهور أو لعدة سنوات .

ثالثاً : ينبغى أن يشعر الأطفال بالزهو تجاه عوالمهم الخيالية ، كما يجب أن يشعروا بالاتساق تجاه هذه العوالم . رابعاً : ينبغى أن يشعر الطفل بأهمية هذه العوالم فى حياته .

وفى دراسة أخرى أجراها سنجر وسنجر (١٩٧٧) خلص الباحثان إلى بعض سمات الشخصية التى تميز الأطفال القادرين على انتاج الخيال وهى على النحو التالى :

قدرة أكبر على التركيز ، أقل عدوانية ، قدرة على الاستمتاع بما يقومون به من أعمال أكبر مما لدى الأطفال قليلى التخيل . كما أن الأطفال الذين يتمتعون بدرجة عالية من التخيل ، بالمقارنة بأطفال آخرين ، قادرون على اكتساب مهارات اجتماعية ومعرفية ، ويستطيعون التمييز بين الخبرات الداخلية والخارجية ، وقادرون على تعلم تنظيم المعلومات ، ومن ثم يصبحون أكثر قدرة على التأمل كما يصبحون أكثر حساسية تجاه الآخرين .

وعلى الضد من نظرية بياجيه القائلة بأن الطفل حتى سن السابعة منغلق على ذاته ويفتقر إلى مهارة الخيال على الرغم من اعترافه بأن الأطفال يعيشون

فى عوالم من صنعهم ، فان الدراسات المعاصرة تؤكد فى مجال علم النفس أن قدرة الطفل على الخيال تبدأ فى سن الثانية وربما قبل ذلك . كما تؤكد هذه الدراسات أيضاً أن الطفل ليس منغلقاً على ذاته وأن الآخر كامن فيه منذ طفولته المبكرة . ويشهد على ذلك قدرة الطفل على ابداع العوالم الخيالية الجانبية . وعلى الرغم من أن هذه الدراسات التى تبرز دور الخيال تؤكد أن الطفل ليس سلبياً فى تعلمه من خلال الخبرات الحسية، إلا أنها لا تبين العلاقة بين الخيال والمستقبل . كما أن الحالات الفردية للأطفال الذين ابدعوا عوالم خيالية كانوا محصورين فى اطار الوضع الراهن ، أى الحاضر . والملاحظ أيضاً على هذه النماذج أنها كلها تجاوزت حالة الخيال فى سن الثالثة عشر أو السادسة عشر ، وهذا يعنى أن القدرة على تخيل عوالم خاصة تزول مع النمو والنضج ولا تترك أى أثر فى حياة الطفل ، باستثناء بعض مشاهير الفنانين أو الكتاب . وفى تقديرى أن هذا مردود إلى غياب الرؤية المستقبلية من هذه العوالم الخيالية التى يبدعها الطفل لتعينه على الهروب من حاضر كئيب أو حتى لمجرد أن تمنحه بعض المتعة والبهجة . وعلى الرغم من أن بعض الأطفال يشعر بحاجة داخلية إلى الخيال ، فان هذه الحاجة فى أغلب الأحيان كانت معزولة عن طموح الطفل ورؤيته للمستقبل أو كان الخيال يمارس بمعزل عن توظيف هذا الخيال لبناء المستقبل .

والسؤال الآن : اذا كان هذا حال علم النفس ، فهل من الممكن طرح مفهوم واضح ومحدد للخيال مع ربطه بالابداع ؟

الجواب بالايجاب بشرط التركيز على قدرة الطفل على التجاوز باعتبارها وسيلة ضرورية للابداع ، ومع الأخذ فى الاعتبار أن الوسيلة التى مارس بها العقل قدرته على التجاوز هى الخيال . ومن ثم يصبح الخيال هو الوسيلة لتحقيق الابداع ولتأكيد فاعلية العقل . وعندما يمارس العقل فاعليته ينتج عن هذه الممارسة ما يسمى بالرؤية المستقبلية . واذا ربطنا بين الخيال والرؤية المستقبلية والقدرة على تحقيق هذه الرؤية ، يصبح الزمن عاملاً هاما من عوامل الخيال . وتأسيساً على هذا يكون الانسان المبدع ، أو بالأدق ، الطفل المبدع هو القادر على ربط الخيال بالمستقبل وليس بالماضى . والالحاح على المستقبل ضرورى لسبب رئيسى هو تغيير الواقع وهو شرط جوهرى من شروط الابداع .

وتأسيساً على مفهوم الابداع فى علاقته بالخيال بمعنى تأسيس رؤية أو عدة رؤى مستقبلية ، فانه من الممكن تعريف الطفولة على أنها الفترة التى يصوغ منها الانسان رؤيته المستقبلية من خلال الخيال بشرط أن تكون هذه الرؤية قابلة للتحقق . أما اذا انتفى شرط قابلية تحقق الرؤية المستقبلية ، فان ابداع الطفل سريعاً ما يتضاءل وينتهى أو فى بعض

الأحيان يتحول إلى إبداع مرضى أو باللغة الدارجة إلى جنون .

إن قابلية تحقق الرؤية المستقبلية يضمن دوام الابداع ويحوله إلى أسلوب حياة وأسلوب تفكير حتى يصل الطفل إلى مرحلة النضج . وفى هذه الحالة يصبح الطفل بحق حيوانا مبدعا ، ويصبح قادراً على ممارسة انسانيته من خلال تأسيس رؤى مستقبلية وتحقيقها .

وتأسيساً على ما تقدم ، يمكننا تعريف الطفل المبدع بأنه الطفل القادر على ممارسة قدرته على تجاوز الوضع القائم إلى وضع قادم من خلال تأسيس وتحقيق رؤى مستقبلية تحدث تغييراً فى الواقع فى مسار لانهائى . وينطوى هذا المسار على ثلاث عمليات متداخلة : أولاً : الفكر الناقد وأعنى به ممارسة طرح أسئلة وتساؤلات تدور على ظواهر طبيعية واجتماعية . ثانياً : أشكلة الواقع من خلال التعرف على التناقضات والقدرة على صياغة تناقضات . ثالثاً : تأويل معطيات ومعلومات فى ظل اطار مرجعى محدد . وينتج عن هذه العمليات معرفة جديدة تنطوى على قدرة تغيير الواقع . ويمكننا أن نطلق على هذه القدرة التى بمقتضاها يمارس الانسان هذه العمليات : "الخيال المبدع" .

والسؤال الآن : كيف نعامل الطفل المبدع ؟

يقترح بعض العلماء أن يلعب الوالدان لعبة الخيال مع أطفالهما فى جو من الاحترام المتبادل وفى ندية كاملة تخلو تماماً من أى نقد يوجهه أحد الوالدين إلى الأطفال أثناء اللعب . بينما ينصح علماء آخرون أن يحترم الآباء خصوصية الأبناء فى ممارسة عوالمهم الخيالية . وهذه النصيحة الأخيرة تثير سؤالاً هاماً :

ما هى المعوقات الثقافية ، أو بالأدق المحرمات الثقافية ، التى تحرم الأطفال من ممارسة الابداع ؟

إن المحرمات الثقافية تكمن فى نسق القيم المتزمت الذى يحافظ على الوضع القائم والذى يسعى الطفل المبدع إلى تغييره بهدف تحقيق رؤية مستقبلية فى اطار وضع قادم . ومن شأن نسق القيم المتزمت كبت الخيال وتحريمه بدعوى أنه مساوى للكذب . والنتيجة المنطقية هى انكماش الخيال وانحسار الابداع .

مثال آخر للمحرمات الثقافية : القيم الاجتماعية التى تنفى ابداع الطفل وتعيق انطلاقه مثل قيمة الطاعة والانصياع لسلطة الكبار . بيد أن أكثر المحرمات الثقافية خطورة على ابداع الطفل هى تلك التى تضع حداً لتساؤلات الطفل وتحرمه من الدهشة والفكر الناقد فى مجالات كثيرة . وهذا من شأنه قتل الابداع .

يبقى السؤال المحورى لهذه الندوة : كيف نحقق هذا المفهوم عن الطفل صاحب الخيال المبدع من خلال القراءة ؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال أقدم مجموعتين من السمات والسمات المضادة وهى سمات الابداع من جهة وسمات اللاابداع من جهة أخرى .

الابداع	اللاابداع
١ – رؤية مستقبلية (وضع قادم)	رؤية ماضوية (وضع قائم)
٢ –تفكير نقدى ونسبى	تفكير دوجماطيقى
٣ – تكوين علاقات جديدة	تذكر وتكرار علاقات قديمة
٤ – تغيير الواقع	محافظة على الواقع
٥ – خيال حر	خيال موجه
٦ – قيم انسانية عالمية	قيم خصوصية محلية
٧ – تحرر من المحرمات الثقافية	هيمنة المحرمات الثقافية
٨ – تعدد التأويلات	تفسيرات أحادية بعامل واحد
٩ – التعامل مع المعرفة بمنهج جدلى لولبى	الاتجاه الواحد أو الدائرى

١٠- تفكير علمى ، عقلانى ، منطقى	تفكير أسطورى ، لاعقلانى ، لامنطقى
١١- الطفل انسان كامل مستقل تنقصه الخبرة	الطفل انسان غير كامل فى حاجة إلى حماية الكبار ووصايتهم
١٢- الطفل ايجابى	الطفل سلبى
١٣- أشكلة الواقع	التكيف مع الواقع
١٤- الواقع من خلال التعرف على التناقضات	تقبل الواقع من غير التعرف على التناقضات
١٥- انتاج المعرفة والمعلومات	استهلاك المعرفة والمعلومات
١٦- التعلم الايجابى من خلال اثارة أسئلة	التعلم السلبى من خلال الأجوبة الجاهزة
١٧- انتاج أراء شخصية جديدة	تذكر أراء الأخرين
١٨- انتاج أفكار ومنتجات مبدعة	استهلاك أفكار ومنتجات الأخرين
١٩- التعلم فى اطار ثقافة الابداع	التعلم فى اطار ثقافة الذاكرة
٢٠- تمثل تاريخ الحضارة الانسانية	اغتراب عن تاريخ الحضارة الانسانية .

إن الهدف من الجدول أن يكون فى أيدى كتّاب

الأطفال ومعدى ومخرجى برامج الأطفال فى التليفزيون والاذاعة .

ومن الممكن تقسيم البرامج إلى أربعة أقسام :

١- برامج عن المفكرين والفنانين والعلماء المبدعين ومنتجاتهم ، مع شرح العملية الابداعية فى اطار سياقها الثقافى وبيان المعوقات والتناقضات التى واجهها المبدعون وكيفية حلها :

٢- برامج عن المفكرين والفنانين والعلماء المبدعين ومنتجاتهم تُقدم على هيئة اشكاليات فى اطار البيئة الثقافية .

٣- برامج عن تاريخ الحضارة من عصر الصيد إلى عصر الفضاء تعرض لمسار التطور بمنهج علمى يطرح قوانين الطبيعة ويركز على الدور الفعال لعقل الانسان فى اكتشاف هذه القوانين التى سمحت له بتغيير الطبيعة والتحكم فيها .

٤- برامج عن العلوم الطبيعية والانسانية مع بيان مدى التشابه والاختلاف بينهما ، مع التركيز على علوم المستقبل ، أى علم الفضاء وعلم الكمبيوتر .

بعد ذلك سؤال : كيف يمكن تنفيذ هذه البرامج ؟
جواب هذا السؤال يستلزم بحثاً آخر .

ماهى مقومات الكتاب الجيد للطفل؟

باول مار(*)

فى اللغة الألمانية مثل شائع : "لكل سؤال واضح ثمة إجابة واضحة". ولكن ليس معنى ذلك بالضرورة أن لكل سؤال واضح إجابة واضحة .

والسؤال الذى هوعنوان هذه المحاضرة يعتبر سؤالا واضحا . وعلى الرغم من ذلك فنحن نستطيع القول بأن لهذا السؤال أكثر من إجابة . وتتحدد الاجابة بهوية الشخص الذى يسأل مثل هذا السؤال . للناقد الأدبى ، مثلاً ، مفهوم معين عن هذا السؤال . فاذا سئل عن الكتاب الجيد للطفل ، فان تصوره مختلف تماما عن تصور مدرس الدين مثلاً . وكذلك يختلف السياسى فى تحديد معايير الكتاب الموجه للطفل عن المعلم التربوى . هذا بالاضافه إلى إعتقادى بأن مؤلفى كتب الأطفال مختلفون فيما بينهم على السمات التى يجب أن تتصف بها هذه الكتب . واذا ما جاء مكانى مؤلف آخر لكتب الأطفال ربما يتفق معى فى تحديد النقاط الأساسية . ولكن مايراه أنه غير مهم على الاطلاق أراه أنا مهم وضرورى .

(*) مؤلف كتب أطفال بالمانيا

قامت بترجمة هذا البحث عن الألمانية فوزية السيد حسن - مدرس الأدب والترجمة باكاديمية الفنون .

لذلك أود أن أوكد ، فى بداية حديثى ، أن ما أقوله لكم اليوم ليس هوالرأى السائد فى ألمانيا . فما هو إلا رؤية خاصة أود أن أنقلها اليكم اليوم ، وهى رؤية تمثل خمسة وعشرين عاماً من الخبرة كتبت فيها للأطفال والشباب .

ألّف الشاعر بيتر هاندكه مسرحية اسمها من اسم بطل المسرحية ويدعى "كاسبر" بمعنى البلياشو ، أو الأراجوز . فى البداية يجلس البلياتشو صامتا دون حراك على خشبة المسرح ، ومحاطا بالكورس الذى يقوم بدور الملقن . والملقن يهمس للبلياتشو بنفس الجمل المعتادة ، ويقوم هو بدوره بترديدها فى البداية بتباطؤ ، ثم يزداد حماسه بعد ذلك فيردد هذه الجمل الملقنة عن ظهر قلب . وفى نهاية المسرحية يجد نفسه وسط مجموعة كبيرة من الأراجوزات مرتدين نفس الثياب التى يرتديها ، ويتحركون كما يتحرك هو وينطقون نفس الجمل التى أخذ هو فى ترديدها .

وفى عام ١٩٦٧ ، وهو العام الذى عرضت فيه المسرحية لأول مرة ، ألّفت أول كتاب للأطفال . ووجدت أن هذا المثال السابق ذكره ينطبق تماما على موقفى كمؤلف مبتدئ ، وشبهت نفسى بذلك البلياتشو الواقف وسط مجموعة كبيرة من الملقنين وأصواتهم تتكلم فى رأسى ، وكأنهم يحاولون أن يهمسوا لى بكل ما قرأت قبل ذلك عن وظيفة كتب الأطفال وأهميتها . فقد درست الأدب وطريقة تقديمه

للآخرين . وعندما كنت مدرسا اكتسبت خبرة فى مجال الأدب ، وفى كيفية تناول الموضوعات التى تعالجها كتب الأطفال فى المرحلة الابتدائية .

وعندما بدأت الكتابة للأطفال لم يكن الحديث عن كتب الأطفال موضوعـــا ذا أهمية . إذ هو يُطرح فى الصحف مرة واحدة كل عام ، وذلك فى النصف الثانى من شهر ديسمبر فى عمود بعنوان "نصائح لشراء هدايا أعياد الميلاد" . هذا ولم يكن لكتب الأطفال أى مكان فى الجزء الثقافى من الصحف حيث كان شرح الأعمال الأدبية ونقدها مثل الروايات والمسرحيات أهم من الحديث عن كتب الأطفال .

وإذا رغبت على سبيل المثال فى معرفة شئ عن كتب الأطفال فلابد من البحث عن المجلات التربوية المتخصصة فى هذا الموضوع . فتقييم كتب الأطفال يأتى من قبل التربويين فقط وليس من قبل المهتمين بالأدب والفن ، إذ نادراً ما كان الناقد الأدبى يطرح الأسئلة التالية :

ما هو موضوع القصة التى يرويها الأديب هنا ؟ وبأى الطرق والوسائل يطرحها؟ هل هى جديرة بالتصديق ؟ هل هذه الشخصيات الموجودة بالقصة شخصيات حية أم أنها شخصيات على الورق يطرح كل منها موضوعا أو قضية معينة ؟ كذلك لم يسأل أحد عن الأسلوب الشخصى للأديب . ونادرا ما كان

يســأل عن اللغــة أو الأســاليب أو الأدوات التى يستخدمها الأديب ، ولم يتحدث أحد عن الصنعة الأدبيـة ، أو مواطن الجمال فى العمل الأدبى . وقد كانت الأسئلة على النحو التالى :

هل يعتبر هذا الكتاب جيد من الزاوية التربوية ؟ وهل ينُصح بقراءته ؟ وإذا كانت الإجابة بنعم ، فيسأل لأية شريحة من الأعمار ؟ وماذا يرغب المؤلف من تأليف هذا الكتاب ؟ وماذا سيتعلم التلاميذ من هذا الكتاب ؟ ويعتبر هذا السؤال من أهم الأسئلة ، لأنه إذا لم تكن الناحية التعليمية واضحة من أول جملة مكتوبة فى الكتاب فان الكتاب لن تكون له قيمة ولا ينُصح بقراءته ، ويكون هذا هو قرار الغالبية . وربما يسمع المؤلف من بعض التربويين التقدميين أنه من المألوف أن يؤلف كتاباً مرحاً بلا هدف .

لكن من خلال تجربتى الشخصية أقول إنه ليس من السهل على المؤلف الذى تُقابل كتبه بمثل العبارة السابقة أن يكتب كتابه التالى . ولكن عليه من وجهة نظرى الشخصية أن يستمع إلى صوته الداخلى ويتبعه ، ولا يعطى إهتماماً لما يقوله هؤلاء النقاد ولا يسعى إلى ارضائهم .

منذ ما يقرب من خمس عشرة سنة تم تغيير شامل فى هذا المجال فى ألمانيا ، حيث أصبحت

الصحف الأسبوعية الكبيرة مثل" Die Zeit" تقدم بصفة منتظمة كتباً جيدة للأطفال . ولم يعد نقد مثل هذه الكتب يختص به التربويون فقط ، بل يتناول نقد هذه الكتب نقاد الأدب الذين يكتبون عن توماس مان ، أو بيتر هاندكه . ربما يتعلق ذلك بمحاولة بعض الروائيين المشهورين بكتابة الروايات لجمهور الكبار والمبرزين فى تأليف كتب الأطفال . أذكر هنا على سبيل المثال بيتر هرتلنج الذى برع فى كتابة الروايات وأيضاً كتب الأطفال . وعلى الرغم من ذلك فأنا أعتقد أن الكتابة للأطفال مازالت طريقاً وعراً بالنسبة للمؤلفين الشبان . وأعتقد أن هذا هو حال المؤلفين فى مصر ، لأن الغالبية تعتقد أن الأطفال خُلقت لكى تُربى ومؤلف كتب الأطفال يعتبر عنصراً مهماً فى قضية التربية هذه . لذلك فمؤلفو كتب الأطفال يحملون على عاتقهم حملاً ثقيلاً . يقول البعض : على مؤلفى كتب الأطفال أن يهدفوا فى كتابتهم إلى تعليم الصغار : الاخلاص فى حب الوطن واحترام الدين ، ويقول البعض الآخر : عليهم تشجيع الأطفال على نقد النظم السائدة والحاكمة ، وتوعيتهم بنقد الظلم الاجتماعى (عدم تحقيق المساواة الاجتماعية) وعليهم أيضاً أن يجعلوا الأطفال متفتحين على العالم لكى يصبحوا عالميين ومحبين لكل شعوب العالم ، وعليهم أيضاً أن يحثوا الأطفال على حب العفة والنظافة والصراحة ، وحب الآخرين وحب العمل والإنضباط فى المواعيد ، وعليهم ألا ينسوا أن الخيال والابداع أهم من حب النظام

والجد ، وعليهم استخدام الأساليب العلمية ومحاولة عرضها ببساطة ووضوح وفى أسلوب عذب وشيق .

لا يستطيع أحد أن يعترض على كل هذه الآراء ، لأن المؤلف الحاذق يستطيع بحسه المرهف أن يجعل كل هذا يسير فى عذوبة ويسر دون أن يشعر الأطفال بأن هذا المؤلف يرغب فى ارشادهم وتعليمهم .أما أنا شخصياً فأرى أنه ليس من الضرورى أن يكون ذلك هو هدف المؤلف الأساسى من الكتابة ، لأنه لابد للمؤلف أن يستوعب كل هذا . وهذا شئ فوق طاقته أن يكون هو المؤلف والمدرس والحارس على الأخلاق ، وأن يكون أيضاً الطبيب النفسى والعالم والمربى ، وأن يقوم بدور الوالدين وبدور السياسى ، لأنه إذا كان مؤلفاً حقيقياً فإن لديه موهبة التأليف التى يتميز بها على الآخرين . فهو يستطيع أن يبتدع قصة وأن يحكيها . ولهذا فان عليه تنمية هذه الموهبة وعندئذ تسير الأمور على أكمل وجه وبتلقائية .

وثمة سبب آخر وهو أن يكون للمؤلف صوت يميزه عن الآخرين ، وأن ينصت لهذا الصوت ولا ينصت لكورس الأرجوزات الذين يرغبون فى تلقينه شيئاً آخر . فإذا اتبع ما يهمس له به الكورس فإنه سيكتشف بنفسه أن عليه أن يطيح بكتبه ، ويحاول البحث عن موضوعات أخرى ، وذلك لأن كورس الأرجوزات يغيّر رأيه فى الفنية بعد الفنية . أذكر لكم على سبيل المثال ما حدث على المستوى السياسى

عندما كان المؤلفون الألمان يصدقون كل ما يقال فى فترة حكم الدكتاتور هتلر ، ولكنهم فى عام ١٩٤٥ حاولوا أن ينكروا كل ما كتبوه فى هذه الفترة ويتبرأوا منه أو يخفوه . حتى فى مجال التربية أستطيع أن أحكى لكم هذاالمثال الواضح :

إن السيدة العجوزمؤلفة كتب الأطفال - السيدة السويدية استريد ليند جرين - أصدرت فى عام ١٩٤٥ كتابها الشهير " بيبى لنج شترومف" . بطلة هذا الكتاب هى بيبى الطفلة الثائرة ، الطفلة المعجزة التى لا تحترم أى شئ ، والتى تعيش بمفردها دون رعاية من الكبار ولا يأمرها أحد بشئ ، إذ هى تقوم بعمل كل شئ بمفردها وتشعر بالاستقلالية والمسئولية . وتستطيع بيبى بقوتها الخارقة غير العادية أن ترفع حصاناً فى الهواء بيد واحدة . وتستخدم بيبى هذه القوة الخارقة لمساعدة الضعفاء والمحتاجين . ويشعر قارئ الكتاب أن بيبى تعيش كل أحلامها وتحققها فى الخيال .

وفى عام ١٩٤٩ تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية وأحدث ضجة عارمة بالنسبة للمدرسين . وحكى لى صاحب مكتبة عجوز أنه حتى عام ١٩٥٢ كان يبيع هذا الكتاب فى سرية تامة ، لأن اعتراض المدرسين عليه كان حاداً . وهاجم الجميع مؤلفة هذا الكتاب بدعوى أنها تدعو إلى التمرد على الآباء . وهاجم السياسيون هذا الكتاب بدعوى أنه يحمل

قيماً يسارية . وبعد عشرين عاماً أى فى بداية السبعينات هوجم هذا الكتاب مرة أخرى من جمهور المعلمين . وفى عام ١٩٦٨ قام الطلاب فى ألمانيا وفرنسا بالتمرد وأحدث هذا التمرد إنقلاباً فى الموازين . فبعدها تغيرت النظرة لأدب الأطفال . فى هذا الوقت وجد جيل المدرسين أن كتاب بيبى لنج شتروم يعتبر يمينياً متطرفاً ، واتُهمت المؤلفة مرة أخرى بأن الكتاب يحرض الأطفال على عدم الاكتراث بموضوعات تستحق النقد ، بل على عدم الاحساس بالرضا . وبهذا حُكم على كتاب "بيبى لنج شترومف" بأنه سخيف ولا معنى له ، بل حجب النظر إلى الحقيقة واحداث التغيير المطلوب وذلك بسبب العناصر الخيالية والابداعية التى احتوى عليها هذا الكتاب .

والآن ، بعد عشرين سنة ونحن فى التسعينات فإن "استريد ليند جرين" تعتبر من وجهة نظر التربويين أحسن مؤلفة فى العالم لكتب الأطفال . وتحصل كتبها على الجوائز التقديرية والدكتوراه الفخرية من جامعات عديدة . وكذلك رُشحت فى العديد من المرات لجائزة نوبل .

كان رائعاً أنها تمسكت بوفائها لنفسها ولم تتأثر برأى الآخرين ، ولم تكن تسمع إلا نداء صوتها الداخلى . وثمة مجموعة من القراء قدرت هذا الكتاب فى عام ١٩٥٠ وأحبته بغض النظر عن الرأى

السائد وقتها . وفى السبعينات أحب الأطفال هذا الكتاب ومازالوا يحبونه ويقدرونه حتى الآن .

كل من يقرأ هذا الكتاب من الأطفال ينصح أصدقاءه بقراءته لأنه كتاب جيد . وهذا هو السبب فى أن هذا الكتاب لم يختف من قائمة الكتب لأنه بمجرد توزيع طبعة منه تبدأ دور النشر فى طبع كميات أخرى لتوزيعها . وفى ألمانيا وحدها طبُعت مليون نسخة من هذا الكتاب .

وهنا نستطيع القول بأن الأطفال بحسهم المرهف استطاعوا أن يتعرفوا على الكتاب الجيد وكانوا فى ذلك أقدر من الكبار. لذلك يجب علينا أن نسأل الأطفال : ما هو الكتاب الجيد بالنسبة لهم ؟ ويعد هذا الكتاب من أكثر الكتب التى ترجمت ويقرأه أطفال أكثر من مائة دولة . وسأحاول أن أوضح العناصر التى تبدو لى هامة فى هذا الكتاب :

١- يحتوى الكتاب على شخصية هامة واضحة المعالم ويحاول الطفل الذى يقرأ الكتاب إما أن يكون مثل بيبى أو على الأقل أن يكون له صديقة مثل بيبى الشجاعة القوية .

٢- الكتاب مرح جداً ويبعث الضحك فى الأطفال والكبار أيضاً .

٣- الكتاب يعتبر مثيراً جداً لأن بيبى تقوم بمغامرات خطيرة . فهى تقف فى وجه اللصوص

وتتغلب على أعدائها الذين يحاولون إيداعها أحد مراكـــزالأطفال الأيتام .

٤- الكتاب يحتوى على مجموعة كبيرة من العناصر الخيالية . وعلى الرغم من ذلك فإن المكان الذى تدور فيه الأحداث معلوم ومحدد ، فهو ليس خيالياً ، ولكن الخيال فى هذا الكتاب ينبعث دائماً من واقع الحقيقة .

٥- يوضح الكتاب بطريق غير مباشر القيم الانسانية النبيلة مثل الصداقة ومساعدة الآخرين والاحساس بشعورالانسان عندما يكون فى مأزق . ومثل هذه القيم تحث القارئ الصغير على عدم التخاذل أمام المأزق .

٦- يتميز هذا الكتاب بالتفاؤل وحب الحياة .

٧- بالرغم من تميز بطلة هذا الكتاب بقوتها الخارقة إلا أنها تعطى الاحساس لكل من يقرأ الكتاب من الأطفال الصغار بأنها قريبة منه ولها صفـــات مشتركة معه . بيبى "الباحثة عن الأشياء" كما تسمى هى نفسها ، تبحث عن أشياء لاقيمة لها فى القمامة ولكنها تعطيها معنى آخر وقيمة أكبر. وهـــى تتسلق الأشجار وتحب الكريمة والتورت المسكرة الشهية ، وتخترع أمـــام أصحابها الصغار قصصاً ملفقة لتبعث فى نفوسهم السرور والرضا .

وفى النهاية لا يطرح الكتاب برمته أية مواقف تنطوى على موعظة . ولا يمكن أن يقال عنه إنه كتاب

تعليمى يتعلم منه الصغار شيئاً ، ولكن كل ما يتعلمه الأطفال ينساب فى الكتاب ولا يشعر أحد بروح الموعظة . فالطفل يتعلم من هذا الكتاب من خلال النموذج الماثل أمامه ، وعن طريق المواقف التى عاشتها بيبى ولا يتعلم من خلال ما يقال له . وتقف المؤلفة فى صف قرائها الصغار كم لو كانت طفلة تحكى الكتاب لأطفال آخرين .

تقول السيدة استريد ليند جرين فى إحدى لقاءاتها : " أنا لا أعطى أهمية لمن سيقرأ هذه الكتب ، وأية نوعية من الأطفال - بل أكتب فقط للطفل الذى بداخلى . ففى حقيقة الأمر أنا أكتب لنفسى الكتب التى تمنيت لو استطعت قراءتها وأنا طفلة .

ولا أدرى إذا كانت المؤلفة اهتمت بالنظرية التى وضعها مؤلف كتب الأطفال الألمانى الكبير "ايريش كستنر" لتأليف كتاب للأطفال . وأيا كان الأمر فانى لا أجد تعارضاً بين طريقة كتابة استريد ليند جرين ونظرية كستنر . ويقول إيريش كستنر فى هذا الصدد : "أهم شرط لتأليف كتب الأطفال ليس هو معرفة الآخرين بقدر ما هو معرفة طفولة الشخص نفسه . إن ما ينجزه لا يحصل عليه عن طريق الملاحظة ولكن عن طريق التذكر عما كانت عليه طفولته " .

بهذا نكون قد وصلنا إلى أنه قد قيل كل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد عند طرح السؤال: ما هو كتاب الأطفال الجيد ؟ ربما يبدو لى مهماً أن أذكّر بأن تحليلى لبيبى لنج شترومف كان مبنياً أساساً على النقاط التى تهمنى شخصياً وأستطيع التعرف على نفسى من خلالها . وعلى الرغم من تقدم سنى فمازلت أشعر بأن طفولتى مازالت قريبة جداً منى . وعندما لا تحضرنى قصة أسجلها للأطفال ألاحظ أنه يجب علىّ أن أدقق النظر فى الماضى الخاص بى وأدع الذكريات تتصاعد من أعماقى وأتذكر الاساءات التى حدثت لى وأنا طفل . وأيضاً الاحساس بالظلم وتجاهل الكبار لنا . حينئذ أعود إلى الطفل الذى كُنته فى الماضى . وأدعه يتكلم ويسجل نفسه ... ساعتها أستطيع أن أكتب قصة .

لكن الاحساس بالمرارة ليس دائماً الدافع الذى يدفعنى للكتابة ، بل كنت أتذكر فى بعض الأحيان المواقف السعيدة التى يحسها الانسان فى طفولته . وأيا كان الأمر فاذا استطاع الكاتب أن يحكى مثل هذه القصص من واقع طفولته فإنه سيصبح قريباً جداً من الأطفال ويستطيع جذبهم ويريهم أهمية الصداقة والشجاعة . كذلك يستطيع أيضاً أن يواسى الذين يشعرون بالخوف منهم وليس لديهم الشجاعة ويعطيهم الأمل بأنهم سيتغلبون على هذه المخاوف عندما تتطلب منهم المواقف ذلك .

وبهذه الطريقة استطعت أن أتكلم فى كتبى عن موضوعات شائكة مثل تدمير الطبيعة والبيئة والحروب والغيرة والحسد والحب والشيخوخة والموت . وأتذكر الآن موقفاً عندما كنت أقرأ أحد أعمالى بالصف الرابع الابتدائى . طلبت منى المدّرسة أن أقرأ "قصة الهروب" التى يتحدث موضوعها عن صبى لا يستطيع احتمال موت جدته التى أحبها كثيراً ولا يريد الاعتراف بموتها أو تقبل ذلك الأمر ، فيترك المنزل ويعبر النهر مع أحد جيرانه ويبحث هناك عن الوحدة . يفعل ذلك حتى لا يتحدث معه أحد فى أى موضوع يبعث فيه الأحزان ويجعله يتذكر ما جرى له عندما كان يجلس وحيداً على شاطئ النهر يعتريه احساس قاتل بالألم فيستسلم له . وحيث أن أحداً لا يستطيع أن يراه فى هذا المكان لتقديم المساعدة له فإنه يضع رأسه على ركبته ويسترسل فى البكاء .

ولم تفصح المدّرسة لى عن رغبتها فى قراءة هذه القصة بالذات . ولو كانت حدثتنى فى هذا الأمر فربما امتنعت عن قراءة هذه القصة . لكنى لاحظت عندما انتهيت من قراءة القصة أن طفلاً فى الفصل يبكى ، وإذا بأصدقائه الصغار يلتفون حوله ويواسونه ويبكون معه . تألمت كثيراً لهذا المنظر وشرعت فى البكاء وبكينا جميعاً لبضع لحظات : الأديب والمدّرسة والتلاميذ ، إلى أن جف الدمع وعاد المرح إلينا جميعاً . وقد علمت أن سبب بكاء الطفل

أن أخته توفيت منذ أسبوعين إثر حادث أليم . ومنذ ذلك الوقت تظهر على الصبى علامات الجمود ، لكنه لا يُشعر الآخرين بأية علامة من علامات الحزن ، ويتحاشى الحديث فى أى موضوع ، ويبتعد دائماً عن زملائه وأصدقائه . وأخيراً استطاع من خلال سرد قصتى عليه ، المشابهة فى احداثها لموقفه ، أن يكسر هذا الجمود ويدع للدموع والأحزان طريقها إلى خارجه . وبهذا أستطيع أن أقدم للأطفال شخصيات ونماذج يحسون بأنها قريبة منهم ، لأن أسرع طريق للوصول إلى الطفل هو الاحساس وليس العقل ، وهو القلب وليس الرأس .

من الموضوعات المحببة إلى نفسى وأكتب عنها دائماً موضوع التسامح مع أجناس من البشر لون بشرتهم مختلف وديانتهم ولغتهم مختلفة . فعندما أحاول أن يتفهم القارئ الصغير مثل هذه الموضوعات فأنا لا أتفوه بها مباشرة وأقول مثلاً : عليك أن تكون رقيقاً مع الأجنبى . ولكنى أحاول أن أقول هذا عن طريق الشخصية التى أكتب عنها ويشعر القارئ أنه قريب منها . أذكر ذلك على سبيل المثال فى كتابى "حلم ليبل" "Lippele Traum" كان الصبى ليبل البالغ من العمر عشر سنوات صديقاً حميماً للطفلين التركيين "ارسلان وحميد" . فهم جميعاً فى فصل واحد . والمؤلف هنا لا يبالغ فى شرح هذا الموقف ولكنه يترك الطفل القارئ فهم هذا الموقف بنفسه فتأتى هذه الصداقة فى سياق طبيعى .

وفى قصة أخرى " Neben mir ist noch ein Platz frei" وترجمتها "هنا بجانبى يوجد مكان خال" تدور أحداث القصة حول موضوع الصداقة بين شتيفى من ألمانيا وعائشة من لبنان . هنا لا نستطيع إخفاء مدى صعوبة مثل هذه الصداقة بين الفتاتين ، لأن الفتاتين من مجتمعين مختلفين فى الفكر والعادات والعقيدة الدينية . شتيفى لا تعرف شيئاً عن عادات صديقتها عائشة وقد أهانتها دون قصد منها عندما قدمت لها لحم الخنزير فى أول زيارة . وفى بعض الأحيان كانت عائشة لا تستطيع أن تفهم العادات الألمانية . وعلى الرغم من ذلك ظلت الصداقة بينهما بكل مافيها من معانى الود والمشاركة فى اللعب والعراك والاهانة . ولكن بعد ذلك جاءت المصالحة والتسامح .

ماذا يبقى علينا أن نسأله فى هذا الصدد : ماهو الكتاب الجيد ؟ فأنا أهتم بأن تحتوى كتاباتى على المغامرة ، والمرح والنكته ، والمواقف الكوميدية ، وهذا يجعل الكتاب جيداً . ويدعى البعض أن الأطفال يختلفون بعض الشئ عن الكبار فى فهم الدعابة والمرح . ولا أستطيع أن أثبت أو أنفى ذلك ، ولكنى أكتب ما أجده طريفاً ومسلياً ، ولا أسعى إلى أن أتخيل النكته التى ترضى أذواق الأطفال ، وأسعد كثيراً عندما أجد أثناء قراءتى لأحد أعمالى أمام الأطفال أنهم يضحكون على نفس المواقف التى

أضحكتنى أنا أيضاً .

وفى هذا السياق أود أن أقول : ربما ينشأ لديكم الشعور بأن كل الموضوعات التى أتناولها هى موضوعات شائكة ومعقدة ولكن ليس هذا بالصحيح . فأنا أسمح لنفسى فى بعض الأوقات أن أحكى قصة مثيرة ليس لها موضوع ، أحكى فقط قصة تبعث المرح والسرور والضحك فى نفوس المستمعين .

إن عنصر الخيال فى كتاباتى عنصر هام جداً ويؤدى دوراً مهماً . فعالمنا الآن فى حالة يرثى لها ، حيث الأسلحة المدمرة لا حصر لها الآن وتتزايد أعدادها كل يوم . والأنهار والبحار مسممة ، وهواؤنا الذى نتنفسه ملوث بالمواد الضارة ويصعب علينا تنفسه . والسياسيون يسعون لإيجاد حلول ولكن دون جدوى . فالوصفات القديمة لم يعد لها تأثير على الاطلاق .

وفى مثل هذه المواقف نحن فى حاجة إلى جيل جديد يستطيع أن يفكر بشكل جديد ، وأن يسير فى طريق لم نطرقها من قبل للوصول إلى حل . لذلك ألعب دائماً فى مؤلفاتى لعبة (ماذا - لو - كان) : ماذا يحدث لو كان الناس قادرين على الطيران مثل الطيور ؟ ولو كانوا يستطيعون الحياة فى الماء كما يحيون على الأرض ؟ ماذا يحدث لو أن الطفل وجد محفظة نقود لا تخلو من النقود ؟

ماذا يحدث لو استطعت أنت مساعدة حورية طيبة أن تصبح سيدة العالم وتحكمه ؟

المهم فى الموضوع هو أن الطفل يجد سعادة فى هذه الخيالات . ويستطيع أيضاً أن يتخيل عوالم وحقائق أخرى غير التى يعرفها هو . وسأحدثكم باختصار عن بعض النقاط لشكل القصة المحببة بالنسبة للأطفال ، كما مارستها أنا فى كتاباتى :

١- يحب الأطفال قراءة الحوار ، لذلك أهتم جداً فى أعمالى بالحوار .

٢- اللغة التى تتحدث بها الشخصيات المختلفة تبدو لى مهمة أيضاً ، بمعنى أن الجدة التى تبلغ من العمر سبعين عاماً لابد وأن تكون لغتها مختلفة بعض الشئ ذلك أن المقولات والأمثال القديمة لايعرفها الحفيد الذى يبلغ من العمر سبعة أعوام . ولغة الذى يعيش فى الريف تختلف عن لغة الذى يعيش فى الحضر . وبهذه الطريقة تكون الشخصيات أكثر تأثيراً فى نظر القارئ .

٣- كيف يبدأ الكتاب؟ هذا شئ مهم جداً . كيف يبدأ المقطع الأول . وعند قراءة المقطع الأول يحدد الطفل بنفسه إذا كان يرغب فى استكمال قراءة فقرات الكتاب المتعددة أم لا . لهذا لا أبدأ قصصى بتتابع الأحداث تاريخياً ولكن بموقف أو نقطة مثيرة تشد انتباه القارئ . فعندما يشعر الطفل بأنه سجين الأحداث أرجع أنا وأبدأ البداية الحقيقية التى

كانت فى خطتى ، وأذكر بعض التفاصيل عن الأشخاص والأماكن .

٤- إذا كنت أكتب لأطفال بدأوا فى القراءة حديثاً فإننى أهتم بتكوين جمل قصيرة لا تزيد عن ست أو ثمانى كلمات وبعدها أكتب جملاً أطول بعض الشئ . وإذا استطاع الطفل أن يصل إلى منتصف الكتاب فإنه لا يمانع من أن يحاول أن يتهجى الكلمات لاستكمال بقية فقرات الكتاب الذى أمتعه وأسعده .

٥- أفضل أيضاً كتب الأطفال التى تحتوى على صور ، فهذه الصور تجعل فهم الكتاب أكثر سهولة خاصة بالنسبة للأطفال الصغار .إن الأطفال فى سن السادسة يحاولون فهم القصة عن طريق فهمهم للصور والتعمق فيها .

٦- يحب الأطفال أيضاً اللغة الرنانة والمنغمة والكلام الموزون ، والأغانى . وأنا أعتمد أساساً فى كتاباتى على أبيات الشعر والأغانى ، لذلك عندما أذهب إلى المدارس فإن الأطفال يستخدمون العبارات والأغانى المذكورة فى كتبى لتحيتى .

وأعتقد بعد هذه المحاولات التى حاولت أن أحدد فيها هوية الكتاب الجيد فإننى سأختم هذه المحاضرة بالسؤال التالى : إذا كان هناك كتب جيدة للأطفال فلماذا ولأى شئ هى جيدة ؟ ماذا يقدم كتاب الطفل الجيد للطفل ؟

الكتاب الجيد ينمى السلوك الاجتماعى ، ويضع الخطط بالنسبة للحياة فى المستقبل ، ويزيد من المعرفة والعلم ، ويزيد من استمتاعه وشغفه بهذا العالم الذى يعيش فيه ويضعه فى أدوار الكبار "عن طريق اللعب والتخيل" . ويستطيع الطفل أن يتخيل حياته فى المستقبل ، ويغريه على الضحك أو يجعله يبكى ، وينمى ملكة التخيل والابداع عنده ، واحساسه بالكلمة ومعناها ، ويوسع مداركه اللغوية .

وهذه النقطة الأخيرة رغم أنها لم تُذكر من قبل إلا أنها فى غاية الأهمية ، لأننا نفكر عن طريق اللغة ونؤثر بها على طريقة تفكير الطفل ، ونبعث على مزيد من الأحاسيس . فثمة إحساس معين لا نستطيع أن نحسه إلا بعد التعبير عنه بكلمة معينة . فالطفل الصغير لا يستطيع أن يفرق بين الاحساس بالرضا والسعادة والاحساس بالألم إلا عندما يضحك أو يبكى . ويكون ذلك فقط عندما يستطيع أن يعبر عن مثل هذه الاحاسيس بالكلام . وهذا ما يحدث أيضاً عندما يشعر بالجوع وعندما يشعر بالملل والألم والغضب . وطفل الحضانة يصعب عليه فى كثير من الأحيان أن يتعرف على احاسيسه. فكيف يستطيع أن يسميها ؟ مثال ذلك : يشعر الطفل ، بعد أن يولد له أخ ، باحاسيس مختلفة ومختلطة من الحقد والخوف ، ويعانى من عدم حب والديه له . ومع ذلك فان هذه الاحاسيس تنطوى على الرقة لهذا الطفل الرضيع والاشفاق عليه ، كما أنها تنطوى على

الاحساس برغبة فى التخلص منه ولو فى خياله ، ويريد التخلص منه إما بأن يبيعه أو يميته .

كل هذه الأحاسيس المتضاربة لا يستطيع الطفل الصغير التعبير عنها ، ولا التغلب عليها إلى أن يقول له أحد : أنت حاقد على أخيك . ومن خلال هذه الحقيقة يلاحظ الطفل أن لهذا الموقف الذى يتخذه من أخيه الرضيع كلمة يستطيع التعبير عما يجيش فى صدره . وهنا يبدأ الطفل فى فهم الموقف الذى يعانى منه ، ويشعر بأنه الوحيد الذى يجيش صدره بمثل هذه الأحاسيس لأخيه . وأن هناك الملايين الذين سبقوه على هذا الدرب .

وبقدر ما يستطيع الكاتب أن يعبر بدقة عن مثل هذه الأحاسيس فإنه يسهل على الطفل استيعابها وتفهمها ، ويبدأ الطفل فى التفرقة بين الكلمات المتقاربة مثل : مرح وسعيد ، ونشيط ومحب للحياة ، ومزاجه معتدل ، وشاعر بالرضا . وبما أنى وصلت إلى هذه الكلمة " الشعور بالرضا " فإنى أعتقد أن حضراتكم سعداء ولديكم شعور بالرضا لأن هذه المحاضرة انتهت عند هذا الحد .

القراءة الإبداعية لتشكيل الطفل المصرى

حسن شحاته (٠)

أ- القراءة من أعقد الأنشطة العقلية . فهى تتطلب تمييز شكل الكلمة سمعياً وبصرياً ، كما تتطلب التفكير ، وتوقع المعانى التى ترمز الكلمات إليها ، وهى أشبه ما تكون بحل المشكلات ، واستنباط الفروض ، والتحقق من الاستنتاجات . إنها تتضمن كل أنواع التفكير من تقويم ، وإصدار لأحكام ، وتخيل ، واستنتاج ، وحل للمشكلات .

والجهد الذى يبذله الطفل حين القراءة جهد كبير ، فهو يبدأ بأن يستخدم قدرته فى تمييز الأشكال المرئية والأصوات المسموعة وهو يعتمد على قدرته فى إدراك الوحدات الرمزية فى تمييز مجموعات من الحروف على هيئة مقاطع لفظية ، ويعتمد على القدرات اللفظية فى فهم معنى الكلمات ، كما أن عليه أن يدرك المعانى التى تكمن فى العلاقات بين الكلمات التى ينبغى فهمها ، وكذا فئات الأفكار ، والجمل والفقرات التى تقدم بدورها نظاماً من الأفكار ينبغى فهمه ، ناهيك عن الشعر وما تقدمه الكتابات الأدبية من تحويلات فى المعانى ، وتلميحات غامضة ينبغى أن يستكملها القارئ نفسه ، إذا أراد أن يفهم ما يقرأ ، وأن يستمتع به .

---

(٠) أستاذ تدريس اللغة العربية بكلية التربية جامعة عين شمس

تطور مفهوم القراءة

وقد بذل علماء النفس التعليمى والتربويون جهوداً علمية وتجارب معملية ، ووجهوا نظرياتهم وبحوثهم لخدمة القراءة وتطوير مفهومها .

كان مفهوم القراءة حتى منتصف العقد الثانى من القرن العشرين مقصوراً على معرفة نطق الكلمات . فمتى عرف الطفل كيف ينطق الكلمات التى يتضمنها النص المكتوب يكون الهدف قد تحقق من القراءة .

وتطور مفهوم القراءة ليشمل فهم الأفكار المتضمنة فى النص المكتوب ، حين بدأ الاتجاه باستخدام اختبارات القراءة ، التى تقوم على طرح الأسئلة حول فقرات ونصوص قرائية .

وتطور مفهوم القراءة مرة ثالثة نتيجة لأبحاث علمية ارتبطت بغزو الفضاء من نهاية الخمسينات من القرن العشرين ، ونتيجة للاهتمام بحرية التعبير ، والعناية بالمؤسسات والمجالس التى تعكس آراء الشعب عبر قنوات دستورية فاتسع مفهوم القراءة ليشمل النقد وابداء الرأى والاستنتاج والحكم . وأصبحت القراءة بهذا المفهوم الثالث عملية تفكير لا تقف عند استخلاص المعنى من النص ، ولا

عند تفسير الرموز وربطها بالخبرة السابقة ، ولا عند التفاعل مع النص ، بل تتعدى ذلك كله إلى حل المشكلات . وأصبحت القراءة عملية عقلية انفعالية دافعية تشمل تفسير الرموز والرسوم التى يتلقاها القارئ عن طريق عينيه ، وفهم المعانى والربط بين الخبرة السابقة للقارئ وهذه المعانى ، والاستنتاج ، والنقد ، والحكم ، والتذوق ، وحل المشكلات .

الحاجة إلى القراءة الابداعية

وإذا كانت القراءة هى الوسيلة التى لا غنى عنها للإنسان فهى تثرى خبراته وتوسع أفقه ، وتربطه بماضى أمته ، وتجعله قادراً على فهم حاضره ، والتخطيط لمستقبله ، وإذا كانت القراءة الوسيلة لحل المشكلات ، والتغلب على ما يواجهه الانسان من صعاب حيث تزوده بخبرات الآخرين وتجاربهم فى مهاجمة مشكلاتهم ، ومواجهة ما يعترضهم من عقبات فى سبيل تحقيق أهدافهم ، وإذا كانت القراءة وسيلة الانسان ليعيش بفاعلية فى حياته ، وأن مَنْ حرم القراءة حرم المشاركة فى الأنشطة الحضارية - فإننا فى حاجة ملحة إلى ربط القراءة بقدرات التفكير الابداعى ، وبذلك ننتقل بالقراءة إلى مفهوم جديد . وليتطور مفهوم القراءة مرة رابعة لننتقل من القراءة الناقدة إلى القراءة الابداعية .

نحن فى حاجة إلى القراءة الابداعية لا لنجعل القارئ مستوعبا لما يقرأ أو ناقداً ، بل إنها تتعدى ذلك كله إلى التعمق فى النص المقروء والتوصل إلى علاقات جديدة ، وتوليد فكر جديد ، وحلول متنوعة للمشكلات ، وتطبيق لهذه الحلول . والمقروء يجب أن يكون مصدراً للتفكير ، والتغلب على ضغوط الحياة . والقراءة هنا لتركيب المعلومات والوصول إلى استنتاجات حقيقية عن الواقع .

نحن فى حاجة إلى تدريب الأطفال على طرح الأسئلة حول المعلومات التى لم تذكر فى النص ، وإضافة فكر جديد ،وكتابة عناوين مختلفة لما يقرأ ، وكتابة عدة نهايات لقصة غير مكتملة ، وذكر جميع الصفات التى يوصف بها شخص ما ، وكتابة حلول متنوعة لاحدى المشكلات ، وتوقع ما يمكن أن يحدث لإحدى شخصيات القصة ، وذكر الأسباب المختلفة لوقوع حدث من الأحداث ، وذكر أكبر عدد ممكن من الاستخدامات للأشياء ، والتنبوء من خلال المعلومات المقدمة إليه ، وتوقع الاحتمالات ، وإضافة فكرة إلى محتوى النص ، والاحساس بالصعوبات والمشكلات ، والثغرات فى المعلومات ، والعناصر الناقصة واختبارها ، وانتاج عدد كبير من الافكار المرتبطة بالمقروء ، والانتقال بالتفكير من مجال إلى آخر ، وانتاج فكر غير تقليدى .

إن الطريقة السائدة فى القراءة تعنى عناية واضحة بالسيطرة على المعلومات الواردة فى النص ، وربط بعضها بالبعض الآخر والالمام بهدف الكاتب ، والاعتماد على الأسئلة المغلقة التى تتطلب إجابة واحدة ، وربط القارئ بالنص وتقييد خياله بحدوده . إنها فى ايجاز تركز على النطق بالكلمات وفهم معانى المفردات ، واستنتاج الأفكار ، وتفسير ما غمض فهمه ، وتعزيز الاجابات الصحيحة وتصويب الاجابات الخطأ فى ضوء إجابة واحدة صحيحة . فدرس القراءة يركزعلى التحصيل لا التفكير .

وتاريخ البشرية يشير إلى أن المبدعين قد قرءوا منذ طفولتهم فاستوعبوا ما قرءوا وتمثلوه ثم أضافوا إليه من ذواتهم ، لذلك فإن تنمية القدرة على الابداع لدى المتعلمين أمر مرغوب فيه ، لأنها تساعدهم فى مواجهة مشكلاتهم ومشكلات مجتمعهم بكفاءة ، وتطور حياتهم وتنمى الانتاج ، وتساعدهم فى تقديم حلول غير تقليدية للوفاء باحتياجات التنمية . والمجتمع الحديث فى حاجة إلى انسان يرقى بتفكيره ليتناغم مع تطوره ، انسان قارئ يعى متطلبات العصر ، ويعرف ما عليه وماله ، ويشارك فى حل المشكلات التى تواجه مجتمعه ، ويعمل على انطلاقه وتطوره .

مفاهيم متنوعة للقراءة الابداعية

إننا نسلم بداية بأن مفهوم القراءة الابداعية مفهوم لا يزال قيد البحث والدرس ، فهناك رؤى متنوعة للقراءة الابداعية بدأها روسل ١٩٥٦ ، فهي عنده عملية تكامل وتنظيم للمواد المقروءة بغية التوصل إلى استنتاجات وحل بعض المشكلات . وقد حدد ست خطوات للقراءة الابداعية هى : الاستيعاب الدقيق لمحتوى المقروء ، وفهم معانيه الظلالية ، وتكامله مع الخبرات السابقة ، والتوصل إلى الاستنتاجات وتكوين علاقات وأفكار جديدة ، واستخدام الأفكار فى أنشطة أخرى جديدة :

والقراءة الابداعية عند هستر ١٩٥٩ تخيل واستدعاء للخبرات السابقة ، وبحث عن تطبيقات للحالة الراهنة ، وتقرير ما ينبغى قبوله . وعند سميث ١٩٦٩ تعرّف بأنها القراءة التى يترك فيها القارئ المادة المكتوبة ، وينطلق بعيداً عنها ليبحث أو يعبر عن أفكار جديدة ، وليحصل على بصيرة إضافية ، وليجد الاجابة عن سؤال ، أو حل لمشكلة تشبه مشكلات الحياة .

ويُعَرف تورنس ١٩٧٠ القراءة الابداعية بأنها حساسية للمشكلات والثغرات فى المعلومات ، والعناصر المفقودة والمتنافرة والأشياء الخطأ

والمزعجة ، وتكوين علاقات جديدة ومجموعات مؤتلفة ، وتركيب عناصر متصلة نسبياً فى وحدة كلية مترابطة ، وإعادة تحويل أو تعريف عناصر محددة لاكتشاف استخدامات جدية ، والبناء على ما هو معلوم .

وتعّرف برازل ١٩٧٢ القراءة الابداعية بأنها إحداث شئ بالمادة المقروءة ، وإعادة تنظيم الانتاج ، والذهاب إلى ما هو أبعد من المقروء لابداع شئ جديد .

ويعّرف هاريس وسيبى ١٩٧٥ القراءة الابداعية بأنها الانطلاق إلى ما هو أبعد من المعانى المفهومة من المادة المقروءة وصولاً إلى أفكار جديدة واستنتاجات جديدة .

ويأتى لوفتون ١٩٧٧ فيعّرف القراءة الابداعية بأنها عملية يوّلد فيها القارئ علاقات جديدة فى المادة المقروءة ، فالقارئ يوّلد علاقات جديدة من المعلومات الراهنة والخبرات السابقة ، مما يجعله يضيف أفكاره إلى أفكار المادة المقروءة ، ويحوّر فى المقروء ، ثم يعبر عما يقرأ بأشكال جديدة شعراً أو رسماً أو مسرحية ، كما أنه يستخدم الأفكار فى مواقف وبطرائق جديدة .

ويذكر مارتن ١٩٨٢ أن القراءة الابداعية تفاعل مع المادة القرائية ، بحيث يكون القارئ حساساً للتنافر فى النص ، يطرح أسئلة ويبحث عن اجابات لها ، يضع المعلومات فى محتوى متكامل ذى معنى ، يمكن أن يكون فريداً . ويطبق استبصاراته فى مواقف جديدة .

ويلاحظ على هذه التعريفات لمفهوم القراءة الابداعية أنها قد تضم مفاهيم القراءة الاستيعابية والقراءة الناقدة ، وأن بعضها لم يلتفت إلى نوع الناتج الذى تسفر عنه القراءة الابداعية ومدى تنوعه واصالته ، وأن بعض ما ذكر لا يعتمد على حقائق علمية محددة بقدر ماهو ناتج عن تحليل منطقى لأنشطة القراءة الابداعية ، وأن بعض التعريفات جاءت فى ضوء ردود فعل القارئ المبدع نحو ما يقرأ ، أو أنها جاءت لتوضح العمليات العقلية التى يجريها القارئ المبدع ، وأن بعض التعريفات تتسم بالغموض ، أو تعريف القراءة الابداعية فى ضوء أهدافها ، أو ربط العمليات العقلية والنفسية معاً .

بيد أن بعض التعريفات عنيت بتحديد خطوات للقراءة الابداعية توضح أهمية تكوين علاقات جديدة وأفكار جديدة ، وأن بعضها الآخر اتفق فى مضمونه مع تعريفات أخرى . وقد اشتركت معظم هذه التعريفات فى التركيز على تنوع العمليات العقلية التى يمر بها القارئ ، وأهمية أصالة الأفكار التى

يتوصل إليها القارئ ، وتوظيف القارئ المبدع للمادة المقروءة والخبرات السابقة ، وتوضيح ردود الفعل النفسية التى يعايشها القارئ المبدع مع النص مما يدفعه إلى التفكير بعملياته العقلية المتنوعة لاشباع حاجاته النفسية . وإن سلوك القارئ المبدع يتضمن إضافة افكاره السابقة إلى المقروءة ، وتوقع احتمالات معينة ، وتحوير المقروء إلى شكل من الأشكال غير المألوفة أو الجديدة ، وتوظيف الأفكار بطريقة فريدة .

اهمية القراءة الابداعية

القراءة الابداعية تنمية للفرد ، وتوسيع لقدرته العقلية وتفكيره ، فالأفكار الجديدة التى يحصل عليها القارئ تساعده على توليد أفكار مبدعة . فهو ليس مستقبلاً للمعلومات بقدر ما هو باحث ومجرب ومركب . لديه القدرة على نقد ما يقرأ وتقويمه . إنه قارئ مفكر يكتشف التناقض فى المعلومات والأسباب الكامنة خلف التناقض ، ويصل إلى استنتاجات صحيحة ، ويختار المناسب منها ، وينتقى ما يطبقه فى حياته اليومية ، فيصبح سلوكه فى حالة من التطور الدائم المفيد . إنه قادر على التوقع والحدس ، قادر على تشكيل المادة المقروءة ، قادر على تشكيل مادة أكثر ثراء من تلك التى كتبها المؤلف .

والقراءة الابداعية تجعل القارئ يحس بالعالم المحيط به احساساً فريداً ، فهو مستغرق فى قراءته ، مشارك الأحياء والجمادات فى أحاسيسها ومشاعرها ، أو هكذا يراها برؤى خاصة ، يرى بأذنيه ، ويسمع بعينيه ، ويدرك بقلبه ، ويحس بعقله . فالتخيل الذى يعيشه أثناء فترة القراءة يجعل العالم وأفعاله شيئاً حقيقياً وفريداً .

والقراءة الابداعية تجعل المتعلم يتعمق المشكلات الدراسية ، ويكشف الأسباب ، ويربط بين المؤتلف ، ويصنف المختلف ويحور ويعدل ويبدل فى المادة الدراسية مما يقوده إلى أصالة التفكير ، وامتلاك التعدد فى وجهات النظر ، فتصبح لديه الطلاقة والمرونة وأصالة التفكير ، فيحل مشكلاته وكذا مشكلات المجتمع الذى يعيش فيه .

والقراءة الابداعية تجعل من الكتاب مصدراً للأفكار ، وتجعل المتعلم يغوص فى المادة المقروءة ليكشف الحقيقة فيما يقرأ ، ويستدعى الأفكار التى يمتلكها ، والتى مزجها بتخيله ، فيزداد رصيده القرائى من الخبرات ، فيصبح قادراً على توظيفها واستخدامها بطرق كثيرة ، وفى مواقف متنوعة من الحياة .

والقراءة الابداعية نوع من أنواع السلوك فى التفكير ، يمكن أن تعبر عنه بمستوى التركيب عند

بلوم . ففى هذا المستوى يقوم التفكير بعملية تركيب نمط لم يكن معروفاً من قبل . وهذا السلوك العقلى يقتضى جمع أجزاء المادة القرائية مع الخبرات السابقة واعادة تركيبها فى كل جديد متكامل . والقراءة الابداعية سلوك موجه لتحقيق هدف ، هو الانتاج أو التركيب الجديد الذى يقوم به القارئ ، والقراءة هى المادة المستخدمة لتدريب العقل على التفكير الابداعى ، وبذلك يتعذر فصلها عن التفكير . فالقراءة تتضمن جميع العمليات العقلية العليا من ادراك وتكوين مفهوم ، ورؤية للعلاقات . وعمل استنتاجات ، واجراء موازنات ، واحداث تطبيقات . فالقراءة هى المسبب للتفكير الابداعى ، فالعقل فى هذا النوع من أنواع القراءة يتحرر ويصبح مولداً للأفكار ، ومبتكراً لها . حيث يضيف إلى المعانى التى يتضمنها النص المقروء .

إن من يقرأ ابداعياً يركز دائماً على الانتاج الاتفاقى والافتراقى . ويظهر الانتاج الاتفاقى فى الحصول على معانى المادة المقروءة ، على حين يتضمن الانتاج الافتراقى استجابة للفرد التى تشمل اجابات مختلفة ومتنوعة ومحتملة ، وليست اجابة واحدة حيث يخترع الطفل الاجابات ويقوم بتركيبها . والمعايير التى تصف ما يحدث حين يقرأ شخص ما قراءة ابداعية هى على النحو الآتى :

- ينشط الفرد ويصبح حساساً للمشكلات التى قد تظهر أثناء القراءة .
- يطرح الأسئلة باستمرار فيما يتعلق بالمعلومات التى يتضمنها النص المكتوب ، ويبحث عن اجابات لهذه الأسئلة .
- يفسر المعانى التى يطرحها المؤلف ، حيث يقوم بتركيب المعلومات فى شكل ذى معنى .
- يحدد أسباب الأحداث فى النص ، ويتخيل التضمينات الممكنة فى احداث المادة المقروءة .
- يمتلك القدرة على الاستجابة ، ويسأل : ما الذى يمكن أن يحدث لو....؟ كيف يمكن أن تتغير الأشياء إذا تغيرت بعض عناصر الموقف ؟

وخلال هذه العمليات يكون القارئ المبدع قادراً على :

- رؤية ماقرأه بطرق كثيرة ومتنوعة ، وهذه هى المرونة .
- انتاج أفكار متنوعة وفريدة مرتبطة بما قرأ . وهذه هى الأصالة.
- اضافة تفاصيل لهذه الأفكار وهذا ما يسمى بالجدة .

والآن . كيف يمكن أن تلعب مكتبات الأطفال أدواراً حديثة متنوعة لتنمية قدرات القراءة الابداعية لدى الأطفال المترددين عليها

استراتيجيات تنمية القراءة الابداعية

يقصد بهذه الاستراتيجيات استخدام تقنيات حديثة وأساليب علمية لتنمية القراءة الابداعية لدى الأطفال تعتمد على أنشطة متنوعة تتوافر فى المكتبات ، وتتدرب عليه الأمينات وتقوم بتقديمها فى تسلسل للأطفال المترددين على المكتبات . وهذه الاستراتيجيات هى :

١ - استراتيجية العصف الذهنى

المقصود بالعصف الذهنى هو جلوس الأطفال على شكل دائرة مع أمينة المكتبة بهدف انتاج قائمة من الأفكار التى يمكن أن تقود إلى حل مشكلة قرائية . ولضمان تدريب الأطفال على تدفق الفكر أو طرح الحلول يراعى مايلى :

- تأجيل اصدار الأحكا م النهائية إلى نهاية الجلسة .
- اطلاق الحرية أمام الأطفال لابداع أفكار والترحيب بها .
- خلق جو التنافس والتشجيع للحصول على أفكار متنوعة وكثيرة .
- السماح بالبناء على أفكار الآخرين وتطويرها .

ولحل المشكلة المطروحة فى جلسة العصف الذهنى ينبغى المرور بعدة مراحل هى :

مرحلة تحديد المشكلة :

- تجمع أمينة المكتبة معلومات عن المشكلة التى سيتم مناقشتها قبل الجلسة .
- تطرح المشكلة فى صورة بسيطة فى بداية الجلسة ، وتشرح أبعادها .
- تقسم المشكلة المعقدة على شكل مشكلات فرعية ، وتناقش كل مشكلة منها فى جلسة مستقلة .

مرحلة اعادة صياغة المشكلة :

- تعرض أمينة المكتبة المشكلة بعدة أساليب .
- تطرح أسئلة تبدأ بعبارة (كيف يمكن أن ...) حتى يمكن دراسة المشكلة من
زوايا مختلفة ، وللتوصل إلى حلول متنوعة .

مرحلة العصف الذهنى للمشكلة :

- القاء كلمة تنشيطية من قبل أمينة المكتبة لتهيئه الأطفال للمشكلة .
- عرض قواعد العصف الذهنى على لوحة أمام الجميع .

- تحافظ أمينة المكتبة على حرية النقاش ، وتنمية الأفكار .

مرحلة تقويم الأفكار :

- تراجع أمينة المكتبة الأفكار وتنظمها مع الأطفال .
- تحدد معايير لنقد الأفكار .
- تستبعد الأفكار التى لا تتفق مع المعايير .

٢ - استراتيجية طرح الأسئلة

الهدف من هذه الاستراتيجية تنمية قدرات القراءة الابداعية . وللاستراتيجية شكلان :

الأول : يطلب من الأطفال القراء طرح أسئلة عن المعلومات الناقصة حين تعرض عليهم مواد قرائية محددة .

الثانى : تقدم أمينة المكتبة أسئلة مفتوحة ومثيرة للتفكير لتحصل من كل طفل على عدد كبير من الاجابات المختلفة ، لا اجابة واحدة . وهو ما يساعد الأطفال على جمع المعلومات ، وحرية التعبير عن أنفسهم ، وفرض الفروض ، والتأمل والسعى لاشباع حب الاستطلاع فى الموضوع الذى يقرؤونه .

ومن الأسئلة المفتوحة : سؤال عن معلومات غير موجودة فى الكتاب ، وعن فكرتهم الشخصية عما يقرأون والتركيز على ما يضيفه القارئ ، وعرض قصة ، وسؤالهم عن أشياء لم تخبر عنها القصة ، وتستخدم أدوات الاستفهام التى تبدأ بما يلى (لماذا ؟ ما الذى يمكن أن يحدث إذا ...) وعلى أمينة المكتبة تقبل جميع الاجابات وعدم رفض اجابة منها . وسؤالهم عن ادراك العلاقات بين المعلومات والأشخاص والأحداث .

٣ - استراتيجية التنبؤ القرائى

تبنى هذه الاستراتيجية على أساس تنمية الوعى القرائى حيث يطلب من الطفل من خلال معلومات محدودة تقدم له ، أن يقدم معلومات أخرى ترتبط بالسابقة ، كأن يطلب من الأطفال القراء التنبؤ بمحتوى قصة أو كتاب أو موضوع قرائى من خلال عنوانه ، ثم يبدأ الأطفال فى قراءة المادة القرائية موضوع النقاش لمعرفة من يفوز بصحة التنبؤ القرائى .

ويمكن أن تطبق استراتيجية التنبؤ القرائى بما سيقع من أحداث أثناء قراءة قصة أو رواية أو مسرحية ، حيث يبدأ طفل قراءة عمل أدبى مبسط ،

وتطلب أمينة المكتبة من القارئ أن يتوقف ثم تسأل الحضور عما يمكن أن يحدث بعد ذلك . ويتم التأكد من صحة التنبؤ من خلال الاستمرار فى القراءة .

وهناك طريقة ثالثة للتنبؤ القرائى ، حيث تطلب أمينة المكتبة من الأطفال قراءة قصة محددة ، وبعد انتهائهم من قراءتها تطلب منهم التنبؤ بما يظن أنه سيحدث بعد انتهاء القصة من أحداث بوقت قصير أو بعد وقت طويل .

٤ - استراتيجية تنويع الحل

تبنى هذه الاستراتيجية على أساس تنمية الابداع لدى الأطفال القراء ، وذلك بوضعهم فى مكان مؤلفى الأعمال الأدبية . ويمكن أن تطلب أمينة المكتبة فى هذه الاستراتيجية من الأطفال القراء اجراء تغيير فى حدث من أحداث القصة ، أو تحوير فى شخصية من شخصياتها واعادة كتابة القصة على هذا الأساس .

ويمكن أن تطلب أمينة المكتبة من الطفل كتابة نهاية للقصة أو عدة نهايات من ابداعه تختلف عن النهاية التى وضعها المؤلف مع المحافظة على الأحداث والشخصيات . أو تقدم للأطفال قصة ناقصة فى الأحداث أو الشخصيات أو النهاية وتطلب من الأطفال تنويع اكمال الناقص كل حسب رؤيته الخاصة .

٥ - استراتيجية تنمية التخيل

تقوم هذه الاستراتيجية على أساس تنمية التخيل الابداعى لدى الأطفال حيث يطلب من الأطفال القراء استخدام بعض الكلمات والتعبيرات اللغوية الجديدة فى تأليف قصة أو مسرحية بسيطة تقوم على الحوار بين بعض الأشخاص . ويمكن أن يطلب من الأطفال القراء اضافة أحداث أو أفكار إلى محتوى النص المقروء مستخدمين تخيلاتهم ، أو تأليف قصة جديدة بدمج بعض القصص ، أو من خلال سلسلة من الصور تعطى للطفل .

٦ - استراتيجية حل المشكلات

تقوم هذه الاستراتيجية على تطبيق ما قرأه الطفل فى حل مشكلات الحياة التى تواجهه حيث تقوم أمينة المكتبة مع الطفل بتحديد مشكلة أو بعض

مشكلات وردت فى كتاب علمى أو اجتماعى أو دينى أو غير ذلك . وتعرض هذه المشكلات وحلولها المتنوعة من خلال جلسة تكرس لهذا الغرض وتستهدف المزيد من القراءات والمزيد من الحلول .

٧ - استراتيجية التعمق والانطلاق

تقوم هذه الاستراتيجية على التعليل بعد الانتهاء من القراءة . وفى هذه الاستراتيجية تطلب أمينة المكتبة من الطفل كتابة الأسباب التى أدت إلى وقوع الأحداث الواردة فى القصة بحسب توقعه .

ويمكن فى هذه الاستراتيجية أن تطلب أمينة المكتبة من الطفل كتابة أكبر عدد ممكن من الصفات لشخصية من الشخصيات الواردة فى القصة ، أو لمكان معين بها ، أو لحدث وقع أو كتابة أكبر عدد ممكن من الاستخدامات الممكنة لشئ ورد فى القصة أو الكتاب .

ويمكن أن تستخدم هذه الاستراتيجية فى تكليف الطفل القارئ باستخراج معانى المفردات الجديدة الواردة بالنص المقروء من المعاجم اللغوية . ومطالبته باستخدام كل كلمة من هذه الكلمات فى صياغة أكبر عدد من الجمل المتنوعة .

ويمكن استخدام هذه الاستراتيجية بأن تشجع أمينة المكتبة الطفل ، بعد قراءة قصة أو كتاب أو نص فى مجلة ، على صياغة أكبر عدد ممكن من العناوين المناسبة لمضمونه ، أو تصلح لأن تكون اعلانات تليفزيونية .

٨ - استراتيجية التحويل

يقوم القارئ فى هذه الاستراتيجية بتحويل العمل الأدبى إلى شكل أدبى آخر ، حيث تطلب أمينة المكتبة من الأطفال أن يشتركوا فى تحويل القصة التى قرؤوها إلى مسرحية ، أو إلى لوحة فنية تتكون من صورة أو من عدد من الصور ، أو بالتعبير عنها عن طريق التمثيل الصامت ، أو بتحويلها إلى مسرحية يتم عرضها عن طريق مسرح الدمى ، أو بتمثيلها عن طريق خيال الظل ، أو على صورة فيلم سينمائى يدار باليد ، أو بتمثيلها وتصويرها بكاميرا ٨ ملم ثم عرضها سينمائياً ، أو عرضها بعد رسمها من خلال صندوق الدنيا ، أو بالتعبير عن القصة بلعب الأدوار ، أو بمقطوعة موسيقية يقومون بتأليفها ، أو بتحويلها إلى أغنية يغنونها جماعياً بمصاحبة الموسيقى ، أو بالتعبير عن مشاهد القصة أو بعض شخصياتها بالصلصال ، أو بتحويلها إلى مشاهد القصة فى لوحة حيث يعبر عن القصة برسمه ثم تقص هذه الصور وتلصق على لوحة ، أو عن طريق

بناء نماذج متحركة للتعبير عن بعض مشاهد القصة أو بعض شخصياتها . أو عن طريق كتابة تقرير عن القصة ونقدها .

ويمكن أن تقدم استراتيجية التحويل قصة تكتب من خلال عنوان يقدم للطفل القارئ ثم يقارن بين ما كتبه والقصة الحقيقية ويكتب تقريراً عن مقابلة بين احدى شخصيات القصة والمؤلف . أو بين القارئ والمؤلف ، أو بين شخصيتين من شخصيات القصة ، أو بين القارئ وصديق له يتحدثان عن القصة ، أو اجراء مكالمة هاتفية مع احدى شخصيات القصة أو تحويلها إلى نص اذاعى .

٩ - استراتيجية التقمص الشعورى

تقوم هذه الاستراتيجية على أساس أن يطلب من القارئ الصغير التعبير كتابة عن مشاعره كما لو كان أحد أبطال القصة ، أو أحد الأشياء المحيطة به فى المكتبة أو الطبيعة . ويمكن أن يتم ذلك من خلال شخصية من شخصيات القصة يرسمها ثم يقوم قارئ آخر أو أكثر بتنميتها ، وتطوير سماتها ، والتعبير عنها مشافهة ، أو بتصميم أزياء لشخصية القصة والتحدث كما لو كانت الشخصية حية تتحرك .

١٠ - استراتيجية النهايات المتفرعة

تقوم هذه الاستراتيجية على أساس أن تقرأ أمينة المكتبة قصة على الأطفال ، فإذا وصلت الى العقدة فى القصة تطلب من الأطفال اختيار أحد حلين ممكنين لحل العقدة ، فيختار نصف الأطفال حلاً ، والنصف الثانى الحل الآخر ، وتظل القصة تتفرع حتى يعمل كل طفل على حدة .

منى ابو سنه

سأوجز أهم الأفكار التى طرحها مراد وهبه ، وفى مقدمتها فكرته عن نشأة الحضارة ، وهى فكرة ينفرد بها إذ هى تدور على تغيير الانسان لعلاقته مع البيئة . فبعد أن كانت علاقة أفقية حيث كان متكيفاً مع البيئة فى عصر الصيد ، فحدثت "أزمة الطعام" . أصبحت العلاقة رأسية فتمكن الانسان من مجاوزة أزمة الطعام عندما تمكن من تغيير البيئة وتحويلها من بيئة غير زراعية إلى بيئة زراعية وذلك بابتداع التكنيك الزراعى . وتأسيساً على ذلك يعرّف مراد وهبه الانسان بأنه حيوان مبدع ، والابداع سابق على نشأة المجتمع ، وبالتالى فإن تعريف الانسان بأنه حيوان مبدع سابق على تعريف الانسان بأنه حيوان اجتماعى . الابداع اذن فى صميم تكوين الانسان وهو الذى مكنه من ابداع الحضارة .

وثمة فكرة أخرى لدى مراد وهبه وهى الاشكالية التى واجهته عندما عرض لرأى كل من بياجيه وفالون . فالطفل ، فى رأى بياجيه ، يتمتع بمركزية الذات ، أى بالانغلاق على ذاته ، وبالتالى فإن الآخر مستبعد ، وهو لا يدخل فى الذات إلا فى مرحلة

متأخرة . أما فالون فرأيه على الضد من رأى بياجيه ، إذ هو يرى أن الآخر فى صميم تكوين الذات منذ البداية .

وفى مواجهة هذه الاشكالية التفت مراد وهبه إلى دور اللغة حيث يتعلم الطفل لغة هو لا يعرفها ومع ذلك يتمكن من تعلمها وذلك بفضل قدرة الطفل على تكوين علاقات جديدة ، وهذه القدرة هى من مكونات الابداع .

وثمة فكرة ثالثة لدى مراد وهبه وهى خاصة بمفهوم الذكاء . إذ هو يعتقد أن الذكاء وَهْم ، وبالتالى فأن تأسيس التعليم على هذا الوهم يولدّ مركبات نفسية وعقلية من شأنها افساد العملية التعليمية التى من المفترض أن تقوم على الابداع .

وثمة فكرة رابعة وأخيرة وهى خاصة بتجذر الدهشة فى نفسية الطفل ، وهذه الدهشة هى التى تسمح له باثارة الأسئلة المقلقة ، وهى التى تسمح له بتكوين علاقات تبدو غريبة على الآباء والمدرسين الأمر الذى يؤدى بهؤلاء ، من أجل القضاء على هذا القلق ، إلى قتل الدهشة وبالتالى إلى قتل الابداع .

والآن نبدأ الحوار .

يعقوب الشارونى

لقد أفدت كثيراً من أفكار مراد وهبه . فقد أعطانا حلولاً لبعض الاشكاليات التى كنت أواجهها فى مجال الابداع وخاصة الاشكالية القائمة بين الذكاء والابداع ، أى التناقض القائم بينهما من حيث أن المبدع قد لا يكون ذكياً ، وأن الذكى قد لا يكون مبدعاً . وهذا تناقض يبدو فى البداية غريباً . وثمة سؤال يشغلنى وهو هل ثمة مستويات للابداع على نحو مستويات الذكاء أم أن هذه المستويات وهمية . وثمة سؤال آخر وهو ما هى العلاقة بين الابداع والخيال ؟ هل الابداع أعم من الخيال ، أى هل الخيال جزء من الابداع ؟ أم أنهما متكافئان ؟

حسن شحاته

إن الطفل المصرى محكوم ، منذ صغره ، بما يسميه مراد وهبه ، "محرمات ثقافية". ولهذا فإنه موضوع فى نظام مغلق بمعنى أن عليه أن يسلك سلوكاً محدداً وبقيم لم يعد لها مكان فى هذا العصر . واذا أردنا للطفل أن ينطلق فى ابداعه فثمة مبادىء أربعة :

١- اجراء حوار مع الطفل لمعرفة آرائه وفهم مسار تفكيره .

٢- ترك الطفل فى أن يكتشف الواقع ويكتشف أسرار لعبه والأشياء المحيطة به .

٣- الالتزام بالتسامح ازاء ما يبديه الطفل من آراء .

أما فيما يختص بالكتاب المدرسى فقد كان خاضعاً لقيم لم يعد لها مكان فى هذا العصر ولكن ابتداء من عام ١٩٨٧ ، أى عند ما كان الدكتور فتحى سرور وزيراً للتعليم ، وعندما هاجم مراد وهبه معقل التخلف فى مصر ودعا إلى احلال ثقافة الابداع محل ثقافة الذاكرة على حد تعبيره فقد بدأ التغيير فى وزارة التعليم ولكنه كان بطيئاً . وهذه ظاهرة طبيعية لأنه ليس فى الامكان القفز من ثقافة الذاكرة إلى ثقافة الابداع . ومع ذلك فقد استطعنا أن نضع أسئلة تحتمل أكثر من اجابة ، وطرحنا على التلاميذ اشكاليات وطلبنا منهم المشاركة فى حلها . كما استطعنا أن نحقق التكامل بين فروع اللغة العربية بمعنى أن يدرس الطفل القواعد النحوية والاملاء والخط والتعبير من خلال النص الأدبى .

كمال الدين حسين(.)

أود اثارة ثلاثة نقاط .

١- يرغب مـراد وهبـه فى تقـديم كل شىء إلى الطفل بدون تحديد . وأنا أعتقد ، على الضد من ذلك ، أنه لابد من اخضاع ما يقدم للطفل لثقافة المجتمع بما تنطوى عليه من قيم وتقاليد . فمثلاً ما يقدم للطفل فى القناة الفضائية فى انجلترا لا يصح تقديمه للطفل المصرى لأن هذه القناة تعرض العنف المدمر والأسلحة والعلاقات الجنسية .

٢- أنا لا أتفق مع مراد وهبه فى أن الذكاء وَهْم . فقد تعلمنا أن الذكاء حقيقة واقعة ويعَّرف بأنه قدرة التكيف مع الواقع . وهذه القدرة هى إحدى قدرات العقل وليست كل قدراته .

٣- فيما يختص بالعلاقة بين الابداع والخيال فرأيى أن الابداع يعتمد على الخيال لأن الابداع هو اعادة ترتيب الأشياء المألوفة لايجاد أشياء غير مألوفة تحل التناقض الكامن فى الاشكاليات على حد رأى مراد وهبه .

(.) كلية رياضة الأطفال بالقاهرة

رؤوف وصفى (.)

نحن نعايش تطوراً علمياً مذهلاً ومع ذلك فان وسائل الاعلام ، هنا ، لاتعرض هذا التطور ، وبالتالى فأن الطفل يشعر بالاغتراب لأنه يلمس هذا التطور فى حياته ولكنه لا يراه على شاشة التلفزيون . ومن ثم فنحن نجعل الطفل بعيداً عن التيار العلمى العالمى أو التيار الحضارى العالمى .

سلوى بكر (..)

الابداع ، قاموسياً ، هو الانشاء على غير مثال سابق . وهذا يستلزم الخيال ، وبالتالى لا يوجد تناقض بين الابداع والخيال ، أى أن الابداع مرتبط بالضرورة بالخيال .

ومن معوقات الابداع الوقوف ضد المرأة والفتاة والطفل . وهو أمر شائع فى الكتب المدرسية . فيقال مثلاً : ماما تطبخ ، ماما تجلس ، وبابا يلعب الكرة مع الأطفال . ومن مساوىء البرامج المقدمة للأطفال فى التلفزيون أنها برامج تتسم بالتخلف بالنسبة إلى قدرات الطفل . هذا بالاضافة إلى أن مقدمة البرنامج

(.) كاتب خيال علمى

(..) كاتبة

لا تهتم إلا بمظهرها ولا علاقة لها بالبرنامج ، فهى تبتسم للطفل بلا مناسبة .

وفيما يتعلق بالقيم والتقاليد التى أشار إليها كمال الدين حسين فالسؤال هو : ما هى هذه القيم ؟ هل هى قيم الفلاحين أم قيم الطبقة العليا أم قيم رجل الشارع ؟ فنحن لدينا قيم متباينة وثقافات متنوعة فاية ثقافة نريدها للطفل ؟ هذه مشكلة معقدة .

سحبات أبو عميرة (*)

عندى ثلاثة استفسارات موجهة إلى مراد وهبه :

الاستفسار الأول خاص بالعلاقة بين الطفل والمحسوسات . فمن رأى مراد وهبه أننا اذا علمنا الطفل كل شىء عن طريق المحسوسات فأننا نقتل فيه عملية التجريد ، والتجريد جزء جوهرى من العملية الابداعية . وهذا الرأى يضعنى فى حالة حيرة وهو تعارضه مع رأى بياجيه فى ضرورة الاستناد إلى المحسوسات فى تعليم الطفل لأن عملية التجريد تأتى فى مرحلة متأخرة .

والاستفسار الثانى يختص بالعلاقة بين الطفل

(*) أستاذ مساعد بكلية البنات جامعة عين شمس

واللغة . ورأى مراد وهبه بأن الطفل الذى لا يستجيب لغوياً ليس معناه أنه لا يفهم ولكن معناه أن اللغة ذاتها هى السبب . وهذا الرأى قد يبدو غريباً ومع ذلك فأنا أتفق معه . فقد قمت بدراسة عن العلاقة بين القدرة القرائية للأطفال ومادة الرياضيات في المرحلة الابتدائية ولاحظت أن عجز الطفل عن قراءة المسائل اللفظية في الرياضيات ليس مردوداً إلى الطفل وانما هو مردود إلى المادة المكتوبة بها لغة الرياضيات .

والاستفسار الثالث والأخير خاص باثارته لقضية "المحرمات الثقافية" . وأعتقد أن هذه القضية فى غاية الأهمية لأن ثقافة الذاكرة ، على حد قوله ، تتسق مع المحرمات الثقافية ، ومن ثم يمتنع توليد ثقافة الابداع التى ينشد مراد وهبه بثها فى نظام التعليم وبالأخص فى مجال اعداد المعلم . ومن هنا كانت أهمية ندوة "الابداع والتعليم العام" الذى أشرف على اعدادها مراد وهبه فى عام ١٩٨٨ . وقد أثير فى هذه الندوة الدور الجوهرى للمعلم فى اتاحة فرصة الابداع للطفل ، لأنه ليس فى امكان الطفل أن يكون مبدعاً أمام معلم هو أصلاً لا يستجيب لمتطلبات العملية الابداعية .

منى أبو سنه

كنت أرغب فى أن يكون الأطفال موجودين فى

هذه الندوة ولكنى لا أدرى لماذا لم تتحقق هذه الرغبة . لعل عدم تحقيقها مردود إلى الاحساس بأن الأطفال سينتابهم الخوف من الكلام .

وفية خيرى (..)

هذه اشارة هامة من منى أبو سنه لأن الابداع لا يلقن . فنحن لا نعرف ماذا سيقول لنا الطفل . يعنى لو تركنا الطفل يحكى لنا قصة فأعتقد أنه سيحكيها بطريقة لا تخطر على بالنا . وهذا دليل على أن الابداع لا يمكن تعليمه بأسلوب التلقين السائد فى نظامنا التعليمى على نحو ما ذكرت منى أبو سنه . وبهذه المناسبة أود أن أشير إلى برنامج اسمه "البرلمان الصغير" إنه برنامج جيد وسىء فى نفس الوقت لأنه عبارة عن تلقين من الكبار للصغار .

منى رجب (.)

من ملاحظتى لأولادى أستطيع القول بأنهم يعتمدون على التلقين كأنهم آلات تسجيل . والمناهج مكدسة إلى الحد الذى يمتنع فيه الابداع حتى لو رغبنا . ولهذا فأنا أعتقد أنه لا يمكن بث روح الابداع فى نظامنا التعليمى إلا اذا كان المشرفون عليه من

(..) كاتبة

(.) كاتبة

المبدعين ، وإلا فاننا سندور فى دائرة مغلقة . نحن فى حاجة إلى مسئولين مبدعين اذا وجدوا الطريق مسدوداً عليهم بالاستقالة وترك المجال كما فعل مراد وهبه . ومن هنا أود أن تكون احدى توصيات هذه الندوة الغاء مبدأ التلقين والمناهج المكدسة بطريقة غير آدمية .

منى أبو سنه

لقد أثارت منى رجب اشكالية هامة للغاية . ونحن نواجهها عندما نعقد دورات لتدريب المدرسين والموجهين فى مركز تطوير تدريس اللغة الانجليزية الذى أشرف على ادارته . وهذه الاشكالية تدور على كيفية بث الابداع فى نظام تعليمى يرفض الابداع . هذا مع ملاحظة أن الابداع نفسه يعنى الخروج عن النظام ، أو كسر النظام . وأعتقد أنه ليس فى الامكان حل هذه الاشكالية بدون ابتداع أساليب جديدة وطرق جديدة نتحايل بها على النظام . وسياسة التحايل ضرورية لأن هذه السياسة من الممكن أن تحدث تراكماً مع مرور الزمن يجبر النظام على احداث التغيير . وتطور الحضارة الانسانية دليل على ما نذهب إليه . فقد حدث التطور من خارج النظام وليس من داخله .

جبوييلا

ثمة نقطتان متوازيتان متداخلتان ، وأنا أود عرضهما . لقد لاحظت أنكم فى موقف اجتماعى ازاء نظام أنتم لستم راضين عنه ، وترغبون فى تغييره . هذا الموقف نفسه نواجهه الآن فى ألمانيا . والسؤال اذن : كيف يتم التعامل مع مثل هذا النظام من الوجهة التربوية ؟ هذا السؤال ينطوى على جواب ايجابى لأن السؤال نفسه يرمز إلى أنكم تواجهون أزمة ، وهذه الأزمة ايجابية لأنها تسمح ببزوغ آراء متعددة ووجهات نظر متنوعة ، الأمر الذى يفضى بدوره إلى اكتشاف الحلول .

مراد وهبه

الحوار خصب والاشكاليات المطروحة عديدة ، ومحاولة ايجاد حلول مبدعة لهذه الاشكاليات أمر وارد ولكنه ليس حاسماً . فيما يختص بالعلاقة بين الذكاء والابداع ثمة تجارب أجريت انتهت إلى أن الحاصل على نسبة مرتفعة فى الذكاء حاصل على نسبة منخفضة فى نسبة الابداع والعكس بالعكس . ومن ثم يمكن القول ، فى شىء من السخرية ، أن المبدع غبى . أما فيما يختص بمستويات الذكاء فالهدف منها التفرقة بين البشر إلى الحد الذى قيل فيه إن زنوج افريقيا ليسوا صالحين لتمثل الحضارة

الانسانية . ومن المعروف أن جيلفورد (عالم أمريكى فى علم النفس) قد دعا علماء النفس فى عام ١٩٥٠ إلى الانشغال بقضية الابداع . ولكن هذا الانشغال قد تم فى اطار الذكاء فنقلت مسألة مستويات الذكاء إلى الابداع فأصبح للابداع مستويات . وهذا مخالف لتعريفى للابداع . فأنا أعرّف الابداع بأنه قدرة العقل الانسانى على تكوين علاقات جديدة بهدف تغيير الواقع . فالابداع هنا ينطوى على عنصرين :
العنصر الأول تكوين علاقات جديدة ، والعنصر الثانى تغيير الواقع . أما تعريفات الابداع السائدة فتخلو من عنصر تغيير الواقع . وفى تقديرى أن العلاقة بين عنصرى الابداع علاقة عضوية . ولا أدل على ذلك مما يحدث فى حالة "الهذيان الدينى" عند أصحاب المرض العقلى . فقد انشغلت فترة من الزمان بالحوار مع أصحاب هذا المرض فى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية فى أواخر الأربعينيات . وكان من بين مَنْ التقيت بهم مريضاً كان يعتقد أنه "اله الكون" وكان متعمقاً فى العلم والفلسفة ، ولهذا كان "مبدعاً" فى اثبات أنه هو الاله بمعنى أنه كان قادرا على تكوين علاقات جديدة لتدعيم هذا الاثبات ولكنه كان عاجزاً عن احداث تغيير فى الواقع . ومن هنا كان ابداعه مرضياً . ومن ثم لابد من التمييز بين الابداع المرضى والابداع السوى استناداً إلى عنصر "تغيير الواقع" .

فيما يختص بمسألة التعليم كنظام مغلق ففى

تقديرى أن الاشكالية كامنة فى كيفية التأليف بين النظام وعدم الغلق . فالنظام بحكم طبيعته يميل إلى أن يكون مغلقاً فيمتنع تطويره . ورفع هذه الاشكالية لا يتم إلا برؤية مستقبلية ، لأن من شأن هذه الرؤية أن تفتح ثغرة فيما هو مغلق لأنها تعنى تكوين علاقات جديدة من أجل تغيير الوضع القائم أو النظام القائم . وهذا هو قانون تطوير أى نظام .

منى أبو سنه

أعتقد أن السؤال الجوهرى فى مسألة الرؤية المستقبلية هو التساؤل عن معوقات هذه الرؤية ، أى لماذا نحجم عن تكوين رؤية مستقبلية ؟ أعتقد أنه من بين أسباب الاحجام رفع شعار "المحافظة على الهوية الثقافية" ، بمعنى أن أية رؤية مستقبلية قد يكون من شأنها بزوغ هاجس هو الخوف من احداث تغيير فى الهوية الثقافية .

مراد وهبه

أنا أؤيد هذه الفكرة . ومن الأدلة على سلامة هذه الفكرة أن رفاعه الطهطاوى بعد أن ترجم شذرات من فكر التنوير حذّر القارىء من قراءة هذا الفكر بدعوى أنه مملوء بحشوات ضلالية ، أى أنه ترجم وحرض القارىء على عدم قراءة ما ترجم .

أما فيما يختص بالادراك الحسى عند الطفل كوسيلة للتعرف على الأشياء واقتناصها فثمة اشكالية وهى أن الطفل وهو يدرك الأشياء يريد أن يحدث فيها تغييراً . وهذا التلازم بين الادراك والتغيير يدخل فى صميم العملية الابداعية .
مثال ذلك : شكوى الأمهات من أن أطفالهن يحدثن تلفاً فى الأشياء التى يدركونها . وأهم ظاهرة في هذا الشأن عشق الأطفال لجذب مفرش المنضدة أو لرمى اللعب من النافذة . وتحاول الأمهات منع الأطفال من هذا الذى يقال عنه إنه عبث ، فى حين أن واقع الحال هو أن الأطفال تريد أن تستكشف قدرتها على التأثير في العالم الخارجى .

الادراك الحسى اذن ليس مجرد ادراك وإنما هو ادراك يلازمه احداث تغيير ما . والسؤال بعد ذلك هو : كيف تتعامل الأم مع الطفل فى هذا الاطار ؟

جبرييلا

عندما كان مراد وهبه يتحدث كنت ابتسم ابتسامة عريضة لأنى أجد أن أفكاره جيدة جداً . ففى ألمانيا الآن كتاب يباع فى الأسواق يصور كل ما تحدث عنه مراد وهبه . فبطلة هذا الكتاب فتاة طغيرة تسمى "فيلما" تريد معرفة كل شىء .. تريد معرفة

حجم المعجون الموجود فى أنبوبة معجون الأسنان فاذا بها تفرغ الأنبوبة من داخلها فى جميع أنحاء المنزل .

وثمة أمثلة أخرى على هذا المنوال في هذا الكتاب . وقد نصحنا الآباء والأمهات بشراء هذا الكتاب ولكن لم يتحمس أحد لشرائه .

إننى أتفق مع مراد وهبه تمام الاتفاق في أن الطفل يريد أن يستكشف ما وراء الأشياء . فانه يريد أن يتعرف على وظيفة هذا الشيء ، بل يريد أن يحدث فيه تغييراً ما . هذا بالاضافة إلى أن الطفل ، من وجهة نظر فلسفية ، يريد أن يعرف ما الذى يكمن خلف هذا الشيء . وأعتقد أن هذه العملية ابداعية ولكنها أيضاً فلسفية فى الوقت نفسه . والسؤال اذن : ما الذى يكمن وراء هذا الشيء هو سؤال أساسى . وأعتقد كذلك أن ثمة اتفاقاً على أن حب الاستطلاع يولد مع كل طفل يأتى إلى هذا العالم . وحب استطلاع الطفل هو التحدى الحقيقى للوالدين .

منى أبو سنه

لى تحفظ على لفظ "حب الاستطلاع" لأن فكرة مراد وهبه محددة وهى أنه يطرح ادراك الطفل فى اطار الابداع ، أى في اطار التغيير بمعنى أن استكشاف الطفل للعالم ينطوى على تغيير العالم .

فالادراك هنا ليس سلبياً وإنما هو ادراك فاعل ومؤثر . وفارق بين النوعين . فالادراك السلبى ينطوى على تلقى الواقع بدون احداث أى تغيير . وهذا هو معنى "حب الاستطلاع" . ومن ثم تنتفى فاعلية العقل ويبقى الطفل عند مستوى الحس . وقد استخدمت جبرييلا لفظ begreifen وأوّلته على أنه محكوم بالادراك الحسى . ولكنى وجدت فى القاموس الألمانى أن ثمة لفظين :
لفظ greifen بدون المقطع الأول وهو be وهو يعنى الأشياء العينية ، وهو يقابل اللفظ الانجليزى grab أى يمسك وعندما نضيف المقطع be فان اللفظ begreifen يتجاوز المفهوم الحسى إلى المفهوم المجرد ، فيصبح الفهم هنا هو الفهم فى مستوى التجريد .

جبرييلا

لدى اقتناع محزن وهو أن الظروف ليست متاحة للأطفال لكى يحققوا تطورهم . إنهم يقبلون على العالم ويريدون استيعاب هذا العالم على النحو الذى يرغبونه . ولكن ماذا يحدث عندما يمد الطفل يده لالتقات شىء ما إن منعته أمه ؟ . هذه الرغبة لدى الطفل لن تموت وهو لهذا يحاول تحقيق هذه الرغبة فى الخيال بعد أن مُنع عن تحقيقها فى الواقع . واذا استمر المنع فأن الطفل يبدأ فى

التعامل مع الأشياء كما يرغب . وكلما تحكمت الأم فى طفلها وازداد تحكمها توغل الطفل فى مجال الخيال . وعندنا مثل فى ألمانيا يقول : إن الأفكار حرة ولا يمكن التحكم فيها . ومن هنا منشأ ما يسمى بـ "اللعب الايهامى" فتتحول قطعة الخشب مثلاً على النحو الذى يرغبه الطفل فى خياله .

وهذه المسألة تدفعنى إلى تناول مسألة أخرى وهى خاصة بكتب الأطفال . فأنا أعتقد أن على مؤلف كتاب الطفل أن يبث روح التسامح عندما يخطىء الطفل فى التعامل مع الأشياء . فهذا التسامح الذى يجده الطفل فى الكتاب من شأنه أن يساعده فى حل نزاعاته وفى التغلب على مشكلاته .

عنى أبو سنه

هذا الكتاب يجب أن تقرأه الأم قبل الطفل .

جبرييلا

وهذه حقيقة أخرى وهى أن كتب الأطفال هى كتب للكبار .

لقد أثارت جبريلا مسألة الخيال وهى مسألة هامة يترتب عليها نتائج هامة . فقولها بأن الطفل عندما تجهض محاولته فى التعامل مع العالم الخارجى علي النحو الذى يريده فانه يلجأ إلى الخيال . فمعنى ذلك أن الخيال هو بديل عن احداث التغيير فى الواقع . أى أن الواقع ، بهذا المعنى أكثر خصوبة من الخيال ، ومن ثم ينبغى اعادة النظر فى الخيال المستخدم فى العمل الفنى والأدبى . فهل هذا الخيال يدعم عجز الانسان عن التأثير فى العالم الخارجى ؟ الجواب عن هذا السؤال من شأنه أن يحدد مصير كل من الفن والأدب .

جبريلا

فى كتابات جوته عن طفولته ثمة فقرة جميلة لا يمكن نسيانها . يقول جوته إن أمه كانت تحكى له قصة قبل أن ينام ، ولكنها كانت تتوقف عن الحكى عند نقطة مثيرة ثم تطلب منه أن يتوجه إلى فراشه لينام ، وتطلب من الفتاة التى كانت ترافقه حتى يدخل غرفة نومه أن تحثه على استكمال القصة كما يراها فى خياله . وعندما ينتهى جوته من استكمالها يستغرق فى النوم ، وتذهب الفتاة إلى أمه وتخبرها بما حدث . وفى صباح اليوم التالى يستمع جوته إلى

استكمال أمه للقصة فاذا بجوته يسمع نفس الذى كان قد حكاه قبل أن ينام . وأنا أروى لكم هذه القصة لكى أوضح مصطلحاً هاماً وهو مصطلح "الوعى بالذات" . ولا أجد أفضل من هذه القصة لتوضيح هذا المصطلح ، ولتوضيح علاقته بالتربية . فجوته الذائع الصيت هو ثمرة هذه التربية .

إننى أعتقد أن قصص الأطفال ينبغى أن تثير فى خيالهم أفكاراً جديدة . والكتب الخاصة بقصص الأطفال التى تصور فى ألمانيا لا تخلو من هذه المسألة فكلها تثير مفاهيم جديدة . وفيما يتعلق بالكتب العلمية التى تؤلف للأطفال فهذه الكتب ، فى ألمانيا ، ليست فقط شيقة للأطفال بل أيضاً للكبار .

حسن شحاته

هل ثمة استراتيجية معينة لتأليف كتاب للطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة ؟ وأنا أسأل هذا السؤال لأننا ، فى مصر ، ليس لدينا استراتيجية .

جبرييلا

لا أعتقد أن ثمة مفهوماً واحداً عاماً بالنسبة لتأليف كتب الأطفال فى ألمانيا . فكل مؤلف ، وأغلب هؤلاء من النساء ، يستطيع أن يؤلف . ولدينا ما

يسمى بـ "ثغرات السوق" . فالسوق قد يطلب من مؤلف معين تأليف قصة عن طلاق الوالدين أو عن الغراب . ولكن الخبير بكتب الأطفال يستطيع أن يتبين الفارق الشاسع بين هذا الصنف من الكتب والصنف الآخر الذى يكتبه صاحبه تلبية لرغبة داخلية بحتة ويكتبه من وحى طفولته هو . وأنا أفضل هذا علي ذاك . وثمة ملحوظة أخيرة وهى أننى لا أستطيع القول بأن الكتب المقدمة للأطفال قبل دخولهم المدرسة تخصهم وحدهم دون غيرهم من الأطفال . فأطفال المدارس يقبلون على قراءتها ولكنهم لا يعلنون عن ذلك حتى لا يقال عنهم إنهم أطفال صغار .

منى أبو سنه

اذا كنا بصدد الحديث عن العلاقة بين الخيال والابداع فأنا أتساءل : أين دور الخيال فى حياة الطفل المبدع ؟ ومتى يبدأ ؟ وكيف ؟ إن ثمة خيالا مشروعا هو تخيل "عوالم جانبية" . ولماذا هى جانبية لأنها سرية غير مصرح للبوح بها إلا للشخص الذى يشعر بأنه جدير بأن يعرفها ، وإلا بعد أن يشعر بأنه قد حقق جزءاً منها . وهذه العوالم الجانبية لا علاقة لها بالحيوانات وإنما لها علاقة بمستقبله . إن الطفل يريد أن يرى نفسه فى المستقبل ، وأن يحدد علاقته بالكون ، هذا الكون الذى عرف عنه تفسيرات

وحكايات من الكبار وهو غير مقتنع بها ، ولا تستجيب لمنطقه . ولهذا يظل هذا العالم الجانبى سراً محبوساً لدى الطفل . وهنا لابد من التفرقة بين الخيال السوى والخيال المرضى . الخيال المرضى منفصل عن الواقع وبالتالى غير قابل للتحقق ، ومن ثم فهو مدمر للطفل . والذى ينمى هذا الخيال المرضى المناخ المحيط بالطفل من أفلام وحكايات خرافية تحكيها الجدة . أما الخيال السوى فهو الخاص بالعوالم الجانبية . والملاحظ أن الآباء يحاولون اقتحام هذه العوالم السرية ، وهذه هى الجريمة الكبرى لأن هذا الاقتحام لا يدمر الابداع فقط بل إنه ينتهك انسانية الطفل .

والخيال العلمى فى تقديرى مرتبط بالواقع ، ولهذا فهو خيال سوى . أما مسألة العلاقة بين الابداع والمحرمات الثقافية . فالمحرمات الثقافية واردة . فمهما يحاول الطفل عزل نفسه عن الواقع والحياة فى عالمه الجانبى فانه يعيش في هذه المحرمات يومياً وتحيط به من كل جانب ، فى المنزل وفى المدرسة وفى التليفزيون ، وفى الشارع .

وأنا أعتقد أن ثمة ثلاثة أمور هامة .

الأمر الأول أن يكون الطفل واعياً بقدرته على النقد ، بقدرته على اكتشاف التناقضات وصياغتها .
والأمر الثانى أن يكون الطفل قادراً على تأويل

الواقع ، هذا التأويل الذى حدثنا عنه باول مار عندما قال لنا كيف نرى القصة من أكثر من وجهة نظر . فهذا هو التأويل . ونحن نكبت قدرة "التأويل" عند الطفل لأنه لفظ غير مقبول فى مجتمعنا .

والأمر الثالث أن مسألة "المحرمات الثقافية" التى لفت الانتباه إليها مراد وهبه فى حاجة إلى دراسة أعمق . فالابداع مازال فى حرب مستمرة مع هذه المحرمات ، وأعتقد أن الكتابة نفسها هى عملية تحرر من المحرمات .

سلوى بكر

أنا أود اثارة مسألتين . المسألة الأولى خاصة بالحيوانات التى تحتوى عليها كتب الأطفال . فأنا أعتقد أن الطفل عندما يتحدث إلى الحيوانات الموجودة فى الكتاب فانه يشعر بأن كل الكائنات فى حالة وحدة وفى حالة تفاهم .

المسألة الثانية خاصة بالتراث الدينى . هل تناول التراث الدينى مفيد ؟ هل تقديم التراث الدينى للأطفال فى ألمانيا كان له نتيجة ايجابية ؟ إن الشباب الآن يتعاطى المخدرات ، والحرية الجنسية سائدة ، ومشاكل المراهقين لا حصر لها . هذا بالاضافة إلى أن القصص الدينية قصص غير منطقية وتعتمد

على عناصر ميتافزيقية . ومع ذلك فأنا أعتقد أن أفضل أنواع القصص الدينية هى تلك التى تربى فى الطفل ملكة الضمير التى بواسطتها يميز الطفل بين الخير والشر ، والسلوك الجيد والسلوك السىء . بيد أن "الضمير" ليس وارداً فقط فى القصص الدينية بل إنه وارد أيضاً فى القصص غير الدينية . وفى تراثنا لدينا "كليله ودمنه".

جبرييلا

المسألة ليست مسألة حيوانات أو بشر . المسألة فى القيمة الفنية للقصة وفى أسلوب السرد .

باول مار

قصصى كلها عن البشر فيما عدا واحدة عن الحيوانات وكانت عن الكانجارو الذى عاش فى محراب أمه ثم قرر أن يقفز خارج الأسوار فاكتشف أن العالم ملىء بالمغامرات . المسألة اذن ليست مسألة نكتب قصصاً عن الحيوانات أم عن البشر ولكن المسألة هل نحن نكتب أشياء واقعية أم أشياء خيالية . وهذه هى المسألة التى دار عليها الجدل فى ألمانيا . وتبينا أن المسألة الحقيقية هى : ماذا نريد أن نقوله للطفل من خلال القصة ؟ فاذا كتبت قصة واقعية وتناولت موضوعها بأسلوب تقليدى فهذه

القصة لا قيمة لها . واذا كتبت قصة خيالية أحاول فيها أن أبين ماذا يكون عليه حال العالم لو ألغينا الحروب فان هذه القصة يكون لها الرواج وتكلل بالنجاح . واذا كتبت قصة عن دب صغير يفعل شيئاً من المفروض ألا يفعله ثم تعاقبه أمه ، هذه القصة فيها حيوانات وفيها خيال ولكنها قصة تقليدية ووعظية ، وبالتالى لا قيمة لها .

منى أبو سنه

ما هى القيمة النفسية والتربوية عندما يكون أبطال القصة حيوانات ؟ اذا كان الهدف تنمية وعى الطفل بذاته فى قدرته على احداث تأثير فى العالم فما هو دور الحيوانات ؟ هل هو دور رمزى لكى ننمى عند الطفل الاحساس بالرفض أو الاحساس بالمجاز ؟ اذا كان ذلك كذلك فيمكن أن يتم ذلك من خلال اللغة وليس من خلال الحيوانات .

هذه نقطة أما النقطة الثانية فهى التساؤل عما اذا كانت كتب الأطفال ، فى ألمانيا ، بها توجه دينى بدعوى أن الخروج من الأزمة الاجتماعية والاقتصادية يكمن فى العودة إلى الدين .

جبرييلا

فيما يختص بالحيوانات فأنا أعرف أننا ، فى

ألمانيا فى السبعينيات ، كانت لدينا مجموعة من الكتاب والناشرين ترفض تماماً نشر الكتب التى تعرض قضاياها من خلال الحيوانات . لكن لدينا مجموعة من الرسامين ليست قادرة على التعبير إلا من خلال الحيوانات .

باول مار

من وجهة نظرى أعتقد أن استخدام الحيوانات فى قصص الأطفال ليس سيئاً بل قد يكون مفيداً فى توصيل ما نريد توصيله إلى الطفل دون أن يحس شخصيته ، أى دون أن يحس بأن القصة موجهة إليه مباشرة ، لأن كثيراً من الأطفال عندما تُخاطب بشكل مباشر فانها تعتقد أنها هى المقصودة . أما عندما نخاطب الأطفال عن طريق الحيوانات ، أو عن طريق مختلف فان الأطفال يحبون ذلك .

جبرييلا

حدثت ثورة تربوية فى وسط أوروبا فى السبعينيات تدعو إلى ما يسمى بالتربية "اللاسلطوية" . وكان منطلق هذه الثورة النظر إلى الطفل على أنه انسان ناضج وعاقل ولكنه صغير السن ، وبالتالى رفض تقديم أى شكل من أشكال الخرافات المصاغة فى شكل حيوانات . وصدر كتاب

مشهور يروج لهذه الثورة عنوانه "ذبح الفيل الأزرق" . وكان ثورة على قصص الحيوانات ، بل كان "انجيلا" لهذه الثورة . إلا أن رد فعل الأطفال كان غريباً إلى حد ما ، فقد رفضت هذه الثورة ولم تقبل على قراءة الكتب الخالية من الحيوانات . وكان باول ، فى ذلك الوقت ، يؤلف قصصه ولم أكن أعرف عما اذا كان يؤلفها فى اطار هذه الثورة أم فى اطار مفهوم خاص به . وعلى الجانب الآخر كان هناك دفاع عن التراث الدينى ومطالبة بالعودة إليه . وبدأت تصدر قصصاً هى خليط من التيارين .

مراد وهبه

نحن فى ندوة عنوانها "الطفل والابداع" ، ولسنا فى ندوة عنوانها "الطفل" . وفى هذا الاطار أعرض لقضيتين : قضية الحيوانات وقضية التراث الدينى .

فيما يختص بقضية الحيوانات وفى اطار الابداع أعتقد أن الاستعانة بالحيوانات يعنى أننا نفسر الأعلى بالأدنى ، أى نفسر السلوك الانسانى ، وهو الأعلى ، بالسلوك الحيوانى ، وهو الأدنى . وهذا من شأنه أن يضعف من آفاق الطفل .

وفيما يختص بقضية التراث الدينى وفى اطار الابداع برؤية مستقبلية ماذا نشاهد الآن ؟ نشاهد

صراعات دينية وحتى الصراعات العرقية تتخذ شكلاً دينياً . ولهذا نحن الآن فى حاجة إلى اعادة النظر فى تناولنا للتراث الدينى اذا رغبنا فى أن يأخذ الابداع لدى الطفل مساره الطبيعى من غير عوائق مفتعلة .

توصيات ورش العمل

ورشة كتاب "مشروع عروس النيل "

- طبقاً للجدول الزمنى لمشروع "مسابقة نهر النيل" توصى هذه الورشة بأن يقوم المركز القومى لثقافة الطفل بطبع نص قصة "رحلة عروس النيل" ، والاعلان عن المسابقة حول حماية النيل من التلوث من خلال هذه القصة وذلك لتوعية الطفل المصرى بأهمية المحافظة على البيئة مع التأكيد على أن عناصر المسابقة تدور حول أساليب تنمية قدرات الأطفال الابداعية .

- الاشادة بالجهد المبذول فى الدراسة الميدانية التى قامت بها ليلى رمضان حول موقف الأطفال و البالغين من قضية تلوث نهر النيل . وتوصى باعداد هذه الدراسة للنشر .

- دعوة الأطفال من الأعمار المختلفة والمناطق المختلفة للاستماع إلى آرائهم واقتراحاتهم حول قضية تلوث النيل وذلك من خلال عرض قصة رحلة عروس النيل عليهم على أن تكون هذه اللقاءات بحضور أساتذة من كليات التربية و مسئولين من جهاز البيئة .

---

* مقررا الورشة : يعقوب الشارونى وليلى رمضان

– الاستفادة من تجربة "قرية الصيادين" التى ورد ذكرها فى بحث ليلى رمضان لتقديم عمل قصصى لصغار الأطفال (أقل من ٧ سنوات) حول المحافظة على النيل .

– تقديم المعلومات الأولية التى جمعت بواسطة ليلى رمضان للطلبة الأكبر سناً كطلبة الثانوية العامة على أن يطلب منهم استغلال هذه المعلومات فى كتابة قصة تحقق نفس الهدف . ومن شأن ذلك تنمية الابداع عند الطلبة من خلال استغلال "البيانات فى انتاج قصة قد تأتى بمنظور جديد .

ورشة "التلفزيون والتشجيع على القراءة "

أولا : المسئولية التربوية للتلفزيون كوسيلة اعلامية هامة :

– ضرورة ربط الطفل بثقافة مجتمعه وقوميته وذلك يستلزم أن نقدم عالم الكبار للطفل لأنه لا يمكن عزل الطفل عن هذا العالم .

– التعامل مع المشكلات النفسية والاجتماعية و الأسرية التى يعانى منها الطفل المصرى بصفة عامة ، سواء فيما يتعلق بفترة مرحلته السنية ودرجة نموه أو فيما يتعلق بالظروف العامة للمجتمع المصرى ، بشكل تربوى سليم . (مثال : التعامل مع موضوعات الرعب والأفكار المخيفة التى تفزع الأطفال فى سن معينة فى اطار كوميدى بحيث يشجع الطفل على التغلب على مخاوفه والسخرية من عدم موضوعيتها .

ثانيا : المشاكل الادارية كمعوقات لانتاج برامج تشجع على القراءة وتنمى الابداع

– ضرورة اختيار المتخصصين فى الرقابة بالتلفزيون على أن يكونوا من ذوى الخبرة والمعرفة

* مقررا الورشة : منى أبو سنه وطارق عبد البارى

العلمية والتربوية حتى لا يقفوا حجر عثرة فى طريق الابداعات الجديدة .

– السماح بالاعلان عن الكتاب واسم المؤلف ودور النشر باعتبار أن الكتاب سلعة ثقافية هامة . ومن غير المنطقى أن يطلب مقدم البرنامج من الأطفال مواصلة قراءة موضوع معين ولا يخبرهم فى أى كتاب يجدون هذا الموضوع .

ثالثا : طريقة العمل :

– ضرورة مشاركة الطفل فى سرد الرواية ليس فقط بالكلام بل أيضاً بالتمثيل كما رأينا فى الأفلام والبرامج الألمانية والنمساوية التى عرضت بالورشة .

– الاهتمام بالامكانات الكبيرة التى يتيحها العمل الفنى الدرامى التلفزيونى ، ومحاولة استخدام امكانات الكاميرا بأفضل صورة لتعميق المفاهيم والمعلومات عند الأطفال .

– الاستعانة بأحد النجوم (فى مجال الرياضة أو السينما) فى تقديم كتاب الطفل فى التلفزيون .

رابعا : المضمون والتناول :

التحرر من سيطرة رغبات الجهة المنتجة حتى يمكن افساح المجال للابداع .

- ضرورة ربط البرامج التلفزيونية بالمادة الموجودة فى الكتاب ربطاً وثيقاً ، إما بعرض جزء منها بشكل مشوق وترك الجزء الباقى بحيث يتم جذب الأطفال لاقتناء الكتاب .

- ضرورة توضيح المفاهيم العلمية فى برامج الأطفال على أن توضح بتجارب علمية مبسطة .

خامسا : فنياً :

- تناول الأجناس الأدبية المختلفة فى البرامج التى تتعرض للقراءة وعدم الاقتصار على القصص البسيطة .

- تناول الألوان المختلفة من الكتب وعدم الاقتصار على الكتب الأدبية والفنية بل يمتد التناول إلى الكتب العلمية والفلسفية .

- الدمج بين الدراما التمثيلية وأسلوب الرواية .

سادسا : ادارياً :

- استبعاد الكوادر غير المدربة وغير المتخصصة والمسئولة عن التصريح اللازم لتقديم البرنامج .

سابعا : الابداع كهدف

- لابد أن تتسم البرامج باعطاء قدر كبير من الحرية للطفل للتخيل والمناقشة والتعامل مع الموضوع تعاملاً مبدعاً يحرك فيه خياله وفكره ومحاولة التأثير بالناتج العام لهذا التفاعل على زملائه فى المدرسة أو اخوته فى البيت .

- عدم "قولبة" "و"تنميط" الأشكال اللغوية ، لأن هذا يقتل الابداع فى الطفل ويحيله إلى كائن نمطى متقولب .

- أن يكون البرنامج مثيراً للطفل فيبحث بعده فى الكتب ليجد الاجابة على الأسئلة التى تركها البرنامج .

- أن يتصف البرنامج بالديناميكية فى كل شئ ابتداء من المضمون المطروح (حيث يجب أن يدفع المضمون الطفل للنقد والدهشة والتساؤل) إلى نوع اللقطات ، إذ أن "الركود " فى العرض والفكر هو عدو الابداع الأول .